المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

التناص في شعر حمزة شحاتة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص: أدب ونقد

إعداد الطالب :

سلطان بن سليمان سليم العضياني

١٤٤٠ هـ/٢٠١٨م

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الملك فيصل

كلية الآداب _ قسم اللغة العربية

التناص في شعر حمزة شحاتة

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص: أدب ونقد

إعداد الطالب :

سلطان بن سليمان سليم العضياني

إشراف الدكتور : عثمان محمد عثمان الحاج كنه

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك فيصل

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
King Faisal University
Deanship of Graduate Studies

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
عمادة الدراسات العليا

عنوان الرسالة

التناص في شعر حمزة شحاته

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير لقسم اللغة العربية
تخصص الأدب والنقد والبلاغة مسار الأدب والنقد

اعداد الباحث/ـة
سلطان بن سليمان سليم العضياني

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ الخميس ٣٠ صفر ١٤٤٠هـ، الموافق ٨ نوفمبر ٢٠١٨م، بمقر كلية الآداب جامعة الملك فيصل بالأحساء، وتمت إجازتها بعد إجراء التعديلات المطلوبة.

أعضاء لجنة الحكم والمناقشة

م	الاســـــم	الصفة	التوقيع
١	د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه	أستاذ مشارك	
٢	د. عادل عثمان الهادي	أستاذ مشارك	
٣	د. عبد القادر محمد الحسون	أستاذ مشارك	

رئيس القسم
الاســـم: د.عبد الله سعد بن فارس الحقباني
التوقيع:.....

عميد الكلية
الاســـم: أ.د. ظافر بن عبد الله الشهري
التوقيع:.....

السيرة الذاتية

الاسم :سلطان بن سليمان بن سليم العضياني

مكان الميلاد : الرياض .

الجنسية : سعودي .

المملكة العربية السعودية ، الجبيل الصناعية .

جوال : ٠٥٥٤٢٠٠٥٥٧

البريد الإليكتروني :ss.odh4@gmail.com

المؤهلات العلمية :

بكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٢٠ هـ

العمل الحالي : معلم لغة عربية ، مدراس الهيئة الملكية بالجبيل الصناعية .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الصادق الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، الحمد لله –رب العالمين–الذي استهل الدين الحق في محكم التنزيل بقوله تعالى:"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴿١﴾خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿٢﴾اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴿٣﴾الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴿٤﴾عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴿٥﴾"[1].

وبعد.

يُعَدُّ الشاعرُ حمزة شحاتة من الشعراء القرَّائين الذين أُتيح لجيلهم الانفتاح والاطلاع على التيارات التجديدية والرومانسية الوافدة على عالمنا العربي، وهو الشاعر الرحالة المغترب الذي قضى شطرًا من عمره بعيدًا عن وطنه ومواطن ذكرياته وأحبائه، وهو المسلم المعتز بإسلامه الذي يعي جيدًا قيمة التراث الشعري في إثراء القصيدة العربية .

حمَّل حمزة شحاتة قصيده، وقصائده تجربته الشعرية، وقضايا أمته الإسلامية،ومن ثَمَّ كان القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة من أهم الروافد التي شكلت شاعريته،كما كان التراث العربي والإنساني رافدين مهمين في تشكيل شاعرية حمزة شحاتة،فالتراث العربي والإنساني سخيا الطبائع، متنوعا المصادر،بين الديني، والتاريخي، والأسطوري، والشعبي وقد أفاد شاعرنا حمزة شحاتة منهما،فاسترفد، واستلهم لغةً وشخوصًا وحوادثًا ومضامين شعرية،فعبَّ، وتشرب، وضَمَّنَ أبياته تراثًا،فازدان نصه الشعري بما يحمله من مضامين تراثية، وفلسفية، وحوادث تاريخية، وأماكن وأطلال؛ ليُسْبِغَ عليها من الخصائص والأبعاد والأحداث المعاصرة،كما حفل النص الشعري لحمزة شحاتة بما يكشف عن اطلاعٍ واسع على التراث الإنساني بألفاظه وشخوصه،فهو شاعر خصيب الشاعرية، تمتاز أشعاره بتنوع المصادر والروافد، وما تحفل به من اتجاهات دلالية وفكرية، ومضامين فلسفية متفردة .

---

(١) سورة العلق .

إهداء

إلـــى

أمي وأبي ..

عائلتي ..

كل من علمني وساندني..

ملخص الدراسة

إن هذه الدراسة تبتغي – بفضل الله وإذنه – الوقوف على (التناص في شعر حمزة شحاتة)

إذ يعد التناص آلية أدبية رائقة ، له من الدواعي ما يسوغ انتسابه إلى آليات الدرس الأدبي المعاصر ، ويؤكد ارتضاءه ذلك المنهج ،إذ له من الصفات الأسلوبية والطرائق التركيبية والتعبيرية المتنوعة ما يشجع الدارسين على قراءته ، بل استقرائه استقراءً تحليليًا في ضوء مقاربة تناصية ، استدعتها – بالطبع – طبيعة تلك الدروس ، بما تنطوي عليه من مقومات تعبيرية ترتبط ارتباطًا قويًا بالتراث والمعاصرة معًا ، إن هذه النصوص التناصية التي طرقها الشاعر (حمزة شحاتة)* ،لا تتشكل أدبيتها حتى تحظى بالدربة والممارسة ، ومن ثم تنال نصيبها من جماليات التلقي لتحقيق مقاصد بذاتها ، لأنه لا قيمة حقيقية للتناص ،أو لأشكاله في ذاتها ، بقدر ما تحمل قيمتها في وظيفتها الأدبية التأثيرية ، بل الجمالية في المتلقي .

بما يعني أننا لا ندرس شكل التناص، أو تواتره وحسب ، وإنما نبحث عما يضطلع به من وظائف تعبيرية واجتماعية وفنية .

ويتميز التناص لدى (حمزة شحاتة) بتواتره عبر أشكال متعددة متنوعة ، تشكل فيما بينها عملاً أدبيًا مستحدثًا، له مرجعيته الرافدة ، لهذا سيقف الباحث على تلك التناصات المتنوعة المتجددة ، والنظر في تشكلاتها التعبيرية المتفاوتة، بما يخدم ما نسميه باستنطاق النصوص وتحليلها، وفق معطيات التناصية .

على هذا سيرتاد الباحث في هذا السياق مظاهر التناص في شعر (حمزة شحاتة) ومستويات ذلك التناص ووظائفه ، فضلاً عن تقنياته ، ليجلّي أبعاد التناص بشكله ومضمونه ،أو بمبناه ومعناه معًا ، مستعينًا بأدوات التناصية ، لاستنطاق تلك النصوص واستجلاء أبعادها .

.

Abstract

By the Grace of God and His permission, this study tries to clarify

(Intertextuality in the poetry of Hamza Shehata).

An intertextuality considers as a prestigious and literary mechanisam , that has many reasons to demonstrate its relation to the contemporary literary course , and it emphasizes its acceptance to that approach, it has stylistic features, syntactic methods and various expressions that attract and motivate the learners to read it , even induce it comprehensively and analytically as an intertextual approach , which it was attracted certainly by the normality of those courses, because they include expressive consistuents that are related strongly with the contemporary tradition, these intertaxtual texts which were written by the poet (Hamza Shehata), are not to form their literacy until they have the training and practice , and then get what they need in receiving esthitics to fulfill their meanings, because there is no actual value for the intertextuality or its formation, as far as what their valuability carries in their effective and literary function, even the esthetic of listener.

It means that we don't study the form of intertextuality or just its graduality, but we search if it contains expressive,social and artful functions.

The intertextuality of (Hamza Shehta) distinguishes with its frequancy via different and various forms, that they are formed a modern and literary work among them , it has its reference , so the researcher will stop reading of renewable and various intertexualities, and look at their different expressive forms to serve what are named the questioning of texts and their analysis , according to a given intextuality.

By the way, researcher frequently will look for this discourse of intertextuality in the poetry of (Hamza Shehata) and levels of that intertxtuality and its function, except its techniques, in order to understnad the depth of intertextuality and its content , or its structure and meaning altogether, depending on the instruments of intextuality to examine these texts and clarify their depths.

الفصل الأول:

مظاهر ومستويات التناص،في شعر حمزة شحاتة ،في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التناص الاجتراري.

المبحث الثاني : التناص الامتصاصي .

المبحث الثالث : التناص التجاوزي .

المبحث الأول: التناص الاجتراري.

هو "تكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير، وهذا القانون يسهم في مسخ النص الغائب؛ لأنه لم يطوره، ولم يحاوره، واكتفى بإعادته كما هو أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء"[1]، ويرى محمد بنيس أن الاجترار هو "أنْ يتعامل الشعراء مع النص الغائب بوعي سكوني، لا قدرة له على اعتبار النص إبداعًا لا نهائيًا، فساد بذلك تمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية في انفصالها عن البنية العامة للنص حركة وسيرورة، وكانت النتيجة أن أصبح النص الغائب أنموذجًا جامدًا تضمحل حيويته مع كل إعادة كتابة له بوعي سكوني"[2].

-التناص الاجتراري مع القرآن الكريم:

من نماذج التناص الاجتراري الذي يعمد إلى اجترار الحقائق الدينية والتاريخية الثابتة،أَنَّ قدماء المصريين شيدوا المعابد والهياكل والصروح الضخمة لأربابهم من الفراعنة والأمراء، يقول حمزة شحاتة:

أفما شَيَّدوا الهياكلَ للأر ... بابِ من عِلْيةٍ ومن أُمراءِ؟[3]

وهذا المعنى اجتره حمزة شحاتة من قوله تعالى:"قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴿٣٨﴾ سورة القصص .

ينتهي السِّحر عنده ظاهرَ الضَّعـ ... ـفِ، وتجثو بهِ الخوارقُ عُزلا

يُنفُض الساحرون باطلَهم فيـ ... ـه، ولو خُيِّروا لصانوه بُخلا[4]

وحمزة شحاتة في البيتين السابقين يجتر معنى فشل سحرة فرعون، مكتفيًا باستبدال بعض المفردات، دونما أي تغيير في المعنى، كما ورد في قوله تعالى:" قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴿٧٧﴾ سورة يونس

والنص الشعري لحمزة شحاتة يجتر الوصف القرآني لمكة المكرمة، دون تغيير التزامًا بقدسية هذا الوصف، واستدعاءً لرمزيتها التاريخية، كما في قوله:

---

(١)التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم،ص ٤٣.

(٢)ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب،مقاربة بنيوية تكوينية، محمد بنيس، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م، ص٢٥٣ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٧ .

أنـــتِ حصـــنُ العـــرب يـــا أمَّ القـــرى فـــــارْمِ بـــــالهولِ سُـــــفوحًا وذُرى[1]

قولـه تعـالى : "هَـٰذَا كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَـارَكٌ مُّصَـدِّقُ الَّـذِي بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَلِتُنـذِرَ أُمَّ الْقُـرَىٰ وَمَـنْ حَوْلَهَـا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴿٩٢﴾ سورة الأنعام .

ومن صور اجترار المعنى واللفظ القرآني قوله:

لن يخلفَ الظلامُ يا ابنتي موعده

ولن يرَى النهار الليلْ[2]

فالشـمس والقمـر علـى خطـين زمنيـين متـوازيين، لا يلتقيـان، فالنهـار والليـل لـن يـرى أيٌّ منهمـا الآخـر، وهـذا المعنـى مـأخوذٌ مـن قولـه تعـالى:"لَا الشَّـمْسُ يَنبَغِـي لَهَـا أَن تُـدْرِكَ الْقَمَـرَ وَلَا اللَّيْـلُ سَـابِقُ النَّهَـارِ وَكُـلٌّ فِـي فَلَـكٍ يَسْـبَحُونَ﴿٤٠﴾سـورة يـس، كمـا نلحـظ أنَّ التغييـر الـذي أدخله حمزة شحاتة في بنية العبارة غير مؤثر في فكرة اجترايتها من النص القرآني.

ومن مشاهد اجترار اللفظ والعبارة القرآنية قول حمزة شحاتة:

ورأىَ الشمسَ فقال: الشمسُ أكبرْ

فمضَى يهتفُ، أني لا أُحبُّ الآفلينْ[3]

إنَّ أيَّ تغييـرٍ ببنيـة العبـارة فـي الـنص الشـعري لا يسـتطيع أن يُخفـي أو ينفـي فكـرة اجترارهـا مـن الـنص القرآنـي فـي قولـه تعالى:"فَلَمَّـا جَـنَّ عَلَيْـهِ اللَّيْـلُ رَأَىٰ كَوْكَبًـا قَـالَ هَٰـذَا رَبِّـي فَلَمَّـا أَفَـلَ قَـالَ لَا أُحِـبُّ الْآفِلِينَ﴿٧٦﴾فَلَمَّـا رَأَى الْقَمَـرَ بَازِغًـا قَـالَ هَٰـذَا رَبِّـي فَلَمَّـا أَفَـلَ قَـالَ لَئِن لَّـمْ يَهْـدِنِي رَبِّـي لَأَكُـونَنَّ مِـنَ الْقَـوْمِ الضَّـالِّينَ﴿٧٧﴾فَلَمَّـا رَأَى الشَّـمْسَ بَازِغَـةً قَـالَ هَٰـذَا رَبِّـي هَٰـذَا أَكْبَـرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴿٧٨﴾ سورة الأنعام .

كمـا يقتفـي الأثـر الـديني فـي قصـة إبـراهيم عليـه السـلام فيجتـر لفظـه وعبارتـه، كمـا في قول شحاتة في قصيدة"بين الحياة والموت" :

ولســـــتُ بالنـــــاطقِ.. لكـــــن لـــــي لســـــانُ صـــــدقٍ أعجـــــز النـــــاطقينْ[4]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٧ .

(٢)المرجع السابق، ص٩٧ .

(٣)المرجع السابق، ص ١٠٤،١٠٥ .

(٤)المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

واللفظ مأخوذ من قوله تعالى:"وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴿٨٤﴾سورة الشعراء،فالنص الشعري لحمزة شحاتة يستمد من النص القرآني ما يُعزز به من شاعرية النص، وما يجعله أكثر رسوخًا في ذاكرة المتلقي، كما أنَّه يوظف حجية وبيانية النص دعمًا لرؤيته التي يطرحها، فيستمد من النص الديني الأصلي ما يعزز به فكرته، ومن بيانيته ما يدعم به شاعريته، فالشاعر المعاصر يلجأ إلى النصوص الدينية، لأنَّ "توظيف النصوص الدينية في الشعر يعد من أنجح الوسائل، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص، تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي أنَّها مما ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيًا أو شعريًا،وهي لا تمسك به حرصًا على ما يقوله فحسب، وإنِّما على طريقة القول وشكل الكلام أيضًا، ومن هنا يصبح توظيف التراث الديني في الشعر خاصة ما يتعلق منه بالصيغ تعزيزًا قويًا لشاعريته، ودعمًا لاستمراره في حافظة الإنسان"[١].

والنص الشعري لحمزة شحاتة يعمد إلى تفسير مكنون النص القرآني، اجترارًا لمعانيه،فعندما يطرح قضية الموت يطرحها كما طُرحت في النص القرآني، فالموت وخروج الروح من الظواهر الغيبية التي لا مهرب منها، كما في قوله:

لا تخش الموتْ

فالموتْ مُقدرْ

ومصيرٌ لا يتغيرْ[٢]

وحمزة شحاتة يستحضر النص القرآني الواصف لفكرة حتمية الموت، كما في قوله تعالى: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ...﴿٧٨﴾"سورة النساء.

وفي قصيدة "رَقْدةُ التاريخ" يدعو حمزة إلى التمترس بالدين والاعتصام به، كما قال:

والـــدينُ تـــرسٌ يتقـــون رمايـــة الرامـــي بـــه ويُصـــاولون المعتـــدي[٣]

نجح فيه حمزة شحاتة هو اجترار شطر المعنى، أو بعض المعنى، فالدين أكبر من كونه ترس نتقي به رماية الرماة، الدين حبل وقوة نعتصم بها، كما أنَّ الآية الكريمة شملت الكثير من الإشارات التحذيرية من الفرقة من بعد أن كنَّا على شفا حفرة من النار فأنقذنا

(١)إنتاج الدلالة الأدبية، صلاح فضل، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٥٩ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٩ .

(٣)المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

الله بهذا الدين، قال الله تعالى : "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٠٣﴾" سورة آل عمران

ومن التناصات الاجترارية للمعنى القرآني(طلب العفو والمغفرة) قول حمزة شحاتة:

جَلَّ عُلا اللهِ، وقَرَّت به ضمائرٌ تُلهِم عِرفانَه

فتُؤثِرُ الخيرَ على ضِدِّه وتستميحُ الله غُفرانَه[1]

وفي هذا تناص مع قوله تعالى:"فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴿١٠﴾" سورة نوح ونلحظ أن حمزة شحاتة لم يأت بالعبارة القرآنية(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)بنصها على صيغة الأمر والطلب، بل جاء بها على صيغة الفعل المضارع(تستميحُ الله غُفرانَه)، والتغيير في بنية العبارة غير مؤثر في اجترايتها؛ لأن الحقيقة الثابتة هي أنه لا طلب لعفو أو مغفرة إلا من الله عز وجل وحده.

والنص الشعري لحمزة شحاتة يجتر مكة بصفتها الحرم الآمن، اتساقًا واجترارًا للوصف القرآني لمكة في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴿٦٧﴾" سورة العنكبوت، يقول حمزة شحاتة:

حَرَمي الأمينُ بها ومأوى وَحْدَتي وَمَلاذُ آمالي، ونِعْمَ المَوْئِلُ[2]

وحمزة شحاتة يجتر المشهد والوصف القرآني يضمنه نسيج نصه الشعري، كما في قوله:

لأنَّ كلَّ شيءٍ في الوُجود يَحترق

مخلِّفًا وراءه رماد

تنثُره الرِّياح[3]

يطرأ إلى ذهن القارئ وهو يقرأ أبيات حمزة شحاتة ،قوله تعالى:"وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴿٤٥﴾" سورة الكهف.

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٢٣٨ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(٣)المرجع السابق ،ص ٤٠١ .

وفي سياق التحذير من شرب الخمر، يجتر مع ما نص عليه القرآن الكريم من حُرْمةِ الخمر وتأْثيم شاربها، وإنذاره بسوء العاقبة، كما في قوله:

تَغَنَّى رِفاقي بالمُدامِ وفِعلِها ولو عَرَفوا سُوءَ المغبَّة، ما غنُّوا [1]

والنص الشعري لحمزة شحاتة يجتر إثمية تناول الخمور، وتعلل بعض شاربيها بمنافعها من النص القرآني في قوله تعالى:"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴿٢١٩﴾" سورة البقرة.

كما يستلهم حمزة شحاتة من القرآن الكريم لفظة (القرآن) نفسها وهو إذ يستقيها فإنما يستقيها بمعنى النذير، كما ورد في قوله :

مَرحَى لقومٍ أصغَت ضمائِرُهم إلى نذيرِ القُرآنِ، فارتَدَعوا[2]

تناصًا باللفظ مع قوله تعالى:"وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴿٣٧﴾ سورة يونس،واجترارًا لمعاني الاستبشار والفرح لمن يتخذون القرآن نذيرًا في قوله تعالى:"الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴿١﴾أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴿٢﴾ سورة هود .

كما يتناص باللفظة(محمد)صلى الله عليه وسلم مع ما ورد في القرآن الكريم، من ذكر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–باسمه محمد، يقول حمزة شحاتة:

أفكان القرآنُ تطريبَ شادٍ يتغنَّى به لسانُ (محمَّد)؟ [3]

والبيت الشعري إلى جانب تناصه مع القرآن الكريم باللفظ–محمد صلى الله عليه وسلم يجتر المعنى القرآني السامي من خلال الاستفهام الذي ورد لغرض النفي والاستنكار، من أنَّ القرآن الكريم ليس من تأليفه صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى:"إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴿٤٠﴾وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴿٤١﴾وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴿٤٢﴾" سورة الحاقة، والتناص مع اللفظ(محمد)،كما في قوله تعالى :"ومَا

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٤٥٤ .

(٢)المرجع السابق،ص ٤٦٤ .

(٣)المرجع السابق، ص ٥٢٦ .

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴿١٤٤﴾ سورة آل عمران، وقوله تعالى :"مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴿٤٠﴾ سورة الأحزاب، وقوله تعالى :"الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ﴿٢﴾ سورة محمد.

وكما ورد التناص باجترار اللفظة محمد ورد التناص باللفظ (أحمد)، اسم النبي صلى الله عليه وسلم يقول حمزة شحاتة :

لم يكن في صِحاب أحمدَ رِعديـ ـدٌ، دعاهُ داعي الجهادِ فَعَرَّد[1]

اجترارًا للفظة أحمد، كما وردت في قوله تعالى:"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴿٦﴾ سورة الصف، وتناصًا باجترار المعنى القرآني من شجاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فليس بينهم رعديد أو جبان،فهم الأقوياء الأشداء، كما في قوله تعالى:"مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. ﴿٢٩﴾ سورة الفتح.

ومن نماذج التناص بالاجترار قول حمزة شحاتة:

والعِلمُ آفتُه الغُرورُ، ورُبَّما عَصَفَ العَمى بالعالِمِ النَّحريرِ[2]

في البيت الشعري يُحذر من أنْ يفرحَ العالم بعلمه ويَغْترَّ به، ويتفضل به على الناس، فكم من عالم عُمِيَ، فزل وأخطأ، وهذا المعنى استقاه–اجترارًا–من القرآن الكريم في قوله تعالى:"فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴿٨٣﴾ سورة غافر .

–التناص الاجتراري مع الحديث النبوي الشريف:

من نماذج التناص باجترار اللفظ والمعنى من الحديث أن يعمد حمزة شحاتة إلى اجترار الصحابة رضوان الله عليهم بأسمائهم وأدوارهم الوظيفية، يقول حمزة شحاتة:

إنه صوتُ بلالٍ.. يوم كبَّرْ[3]

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ،ص ٥٢٦ .

(٢)المرجع السابق، ص ٥٤٠ .

(٣)المرجع السابق، ص ١٣٢.

لا يستطيع حمزة شحاتة أن يُغير من كون بلال رضي الله عنه كان مؤذن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيجتر تاريخيته وأداءه الوظيفي، إثارةً لذهن القارئ ومستمدًا من مكانة بلال–رضي الله عنه–الدينية ما يعزز به من مكانة نصه الشعري تناصًا مع ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:"لَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالَ:ذَكَرُوا أَنْ يَعْلَمُوا وَقْتَ الصَّلاَةِ بِشَيْءٍ يَعْرِفُونَهُ، فَذَكَرُوا أَنْ يُورُوا نَارًا، أَوْ يَضْرِبُوا نَاقُوسًا فَأُمِرَ بِلاَلٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذَانَ وَأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ"(١)

والنبي صلى الله عليه وسلم هو أبو البلاغة والفصاحة، وأبو البلغاء، كلماته من الرحيق المصفى، يقول حمزة شحاتة:

كلماتٌ من الرَّحيقِ المصفَّى عَتَّقتها يَدا أبي البُلغاءِ(٢)

والبيت الشعري السابق،يخاطب ذاكرة ووجدان المتلقي، وما وقر في ذهنه من بلاغة وفصاحة النبي صلى الله عليه وسلم فيجتر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ"(٣)،وما رُوِّيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:"فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ "(٤).

وفي مواقف الإشادة بالدين،يعمد النص الشعري إلى اجترار معنى حجية الدين وغلبته لمن يحاجه، كما في قوله صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ"(٥)، وهذا المعنى اجتره النص الشعري لحمزة شحاتة في قوله:

يا ليلُ.. لا، فالدِّينُ فوق الحِجى فَلَيُعلِنِ الثَّائرُ إذعانَه!(٦)

(١)صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٠٣، ص ١٥٤.

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٥.

(٣)صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٩٧٧، ص ٧٣٤ .

(٤)مسند الإمام أحمد،الجزء الخامس عشر تتمة أبي هريرة، رقم الحديث ٩٣٣٧، ص ١٩٤، ١٩٥ .

(٥)صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٩، ص ٢٠ .

(٦)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٣٨ .

كما يجتر حمزة شحاتة عبارة (زبد البحر)من السنة النبوية المطهرة، كما في قوله :

خِلْـــتُ أنَّ الكـــونَ أمســـى بَعـــدَها راجِفًـــا كـــالبَحرِ، يَرمـــي بالزَّبَـــدْ[1]

فالقارئ لدى مطالعته للبيت الشعري تُثارُ ذاكرته الشعرية،في إحالة عبارة(البحر يرمي بالزبد)إلى النص الأصلي في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مَنْ قَالَ:سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ"[2].

كما يعمد حمزة شحاتة إلى الاجترار بتكرار الأذكار التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظها، غير أنه قد يحدث تبادل مكاني للفظ محل آخر، كما في قوله:

طَوَى الشَّبابُ عَلالاتِ المُنى ومَضَى فازجُر هَواكَ بقُدُّوسٍ وسُبُّوحِ[3]

ونلحظ في البيت الشعري وردت كلمة قدوس قبل سبوح، بينما وردت في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ :"سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ"[4].

وفي التحذير من عذاب القبر يجتر حمزة معاني عذاب القبر، كما وردت في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلاَةِ بقوله:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ"[5]وحمزة شحاتة يجتر معنى التحذير والاستعاذة من عذاب القبر في قوله:

كم ذا وراء القبرِ من شتَّى المتاعبِ والمَهالك[6]

-التناص الاجتراري مع التاريخ:

يتناول النص الشعري لحمزة شحاتة أحداث التاريخ وانتصاراته في ثنايا نصه الشعري، فلا يملك أحد سلطة تغيير حدث تاريخي تم وانتهى، ومن نماذج اجتراره أحداث التاريخ يذكر حمزة شحاتة معركة اليمامة، وانتصار المسلمين على المرتدين في معركة اليمامة التي يطلق عليها معركة الحديقة، يقول حمزة شحاتة:

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ،ص ٣٦٣.

(٢)صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٤٠٢، ص١٥٩٦ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٤٩ .

(٤)صحيح الإمام مسلم، رقم الحديث ٤٨٧، ص ٢٢٤ .

(٥)المرجع السابق ،رقم الحديث١٢٩،ص ٢٦٥ .

(٦)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٥١ .

هـــا نحـــنُ فـــي يـــوم (الحديـــ ـــــــــقةِ) وَارِدِيـــــــــنَ وواردات[1]

كمـا يجتـر مواقـف الشخصـية التاريخيـة وصـفاتها، كمـا فـي اجتـراره لمناقـب الملـك فيصل رحمه الله من الحزم والعزم وصواب الرأي في قوله:

حَـــــيْهلًا بالقائـــــدِ المُرتضـــــى والفيصـــلِ المرجـــوِّ مِـــن فيصـــل

حَـــــيْهلًا بالســـــيفِ مـــــن رأيـــــه يحـــل –وَمْضًـــا– عقـــدةَ المعضـــلِ[2]

أو اجتراره لشخصية الزعيم الهندي غاندي في قوله:

سَـــــلامُ النِّيـــــلِ "يـــــا غَانـــــدِي" وهـــــذا الزَّهـــــرُ مـــــن عِنـــــدي[3]

أو اجتراره لشخصية الزعيم النازي هتلر في قوله:

فلمَّـــــــا ثـــــــارتِ الحـــــــربُ وجـــــــرَّ الويـــــــلَ هتلـــــــردي[4]

ونلحـظ أَنَّ حمـزة شـحاتة لـدى استحضـاره الشخصـيات التاريخيـة يعقـد ثنائيـات رائعـة بـين الشخصـية ومتلازمتهـا الرمزيـة فـي ذهـن القـارئ، فالملـك فيصـل متلازمتـه الرمزيـة الحـزم والعـزم والطمـوح، بينمـا غانـدي مقـرون فـي ذهنيـة القـارئ بالسـلام الـذي انتشـر فـي ربـوع شـبه الجزيـرة الهنديـة، بينمـا متلازمـة هتلـر الرمزيـة هـي الخـراب والـدمار والـويلات التـي جرهـا على العالم .

–التناص الاجتراري مع الموروث الأدبي:

مـن نمـاذج اجتـرار المـوروث الأدبـي فـي الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة اجتـراره لفظتي(أَقِلِّي اللَّوْم)من النص الشعري للشاعر عروة بن الورد، يقول حمزة شحاتة:

رُوحِـــــــي فِـــــــداكِ إِذَا مَلَكْـــــــتِ ترَّفقـــــــي

لَا تَتْرُكِينِـــــــي فَرِيســـــــةَ اللـــــــوام[5]

تناصًا مع قول الشاعر عروة بن الورد:

أَقِلِّـــي عَلَـــيَّ اللَّـــوْمَ يـــا بنـــت مُنْـــذِر ونـامِي، فـإنْ لـم تَشْـتَهي النَّـومَ فاسْـهَرِي[6]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٨٠ .

(٢)المرجع السابق،ص ١٩٤ .

(٣)المرجع السابق، ص ٥٨٢ .

(٤)المرجع السابق، ص ٥٨٤ .

(٥)المرجع السابق ،ص ٦٣ .

(٦)ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، تحقيق أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ٦٧ .

ونلحظ في بيت حمزة شحاتة أَنَّهُ اجتر اللفظة(اللَّوْم)، بينما عمل على تطوير المعنى في الشطر الثاني من البيت بطلبه من المرأة ألَّا تتركه فريسةً يتناهبها اللوام، بينما يبدو عروة بن الورد وقد استسلم ليأسه منها،فطلب من امرأته أنْ تتشاغل عنه بالنوم أو بالسهر،وبذلك يكون البيت قد تنقل بين مستويات التناص باجترار اللفظ،ثم امتصاص المعنى وتطويره.

ومن نماذج اجترار نص من الشعر الحديث قول حمزة شحاتة:

مرحَى بواكيرَ البناتِ وهلًا رعيلَ الشائراتِ[1]

تناصًا بمعنى تقديم التحية للفتيات المسلمات مع بيت للشاعر أحمد شوقي في قوله:

قُم حَيِّ هَذي النَيِّراتِ حَيِّ الحِسانَ الخَيِّراتِ[2]

كما يتقاطع النص الشعري لحمزة شحاتة مع النص الشعري للشاعر عبد الرحمن شكري باللفظ والمعنى، من الزهد في عشق الحسناوات، يقول الشاعر شكري:

لم يعشَق الغِيدَ لَكِنَّهُ هَامَ بِبِكرٍ من بَنَات الخَيَالْ[3]

يقول حمزة شحاتة:

لمَّا يَعُد في وِصالِ الغِيدِ لي وَطَرٌ أمضِي به مُستَطارَ القلبِ والرُّوحِ[4]

وفي موضع آخر يجتر ذات المعنى من سمو الهدف في الحب بقوله:

لم يَسأمِ الحُسنَ، ولا وَحيَه ولا اجتَوى الحبَّ وأشجانَه

لكنَّه، والطُّهرُ مأمولُهُ عافَ دَناياهُ وأدرانَه[5]

ونلحظ أَنَّ النص الشعري لحمزة شحاتة يجتر اللفظ والمعنى من النص الشعري لعبد الرحمن شكري، فقد عَافَ الدنيا بحسناواتها، وأصبح الطهر مأموله وهدفه .

وحمزة شحاتة لا يترك بابًا من أبواب التناص إلا وطرقه بقصدٍ أو بغير قصدٍ "فللتناص شكوله وصوره، ويأتي تداخل النصوص–بشكله العام–في صورتين معروفتين،الصورة العامة للتناص وهي العفوية غير الواعية المتمثلة في كل ما يتسرب إلى

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٨ .

(٢)الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، ص ١٠٢ .

(٣)ديوان عبد الرحمن شكري، تحقيق نيقولا يوسف، راجعه فاروق شوشة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠٤٥٦/ ١٩٩٨، ص ١٦١.

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٤٩ .

(٥)المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

النص من لا وعي المبدع دون قصد منه، وبذلك تتداخل النصوص مع بعضها بعضًا عبر علاقات خفية وتراكمات لا نهاية لها، والصورة الأخرى هي الصورة القصدية أو البارزة المتعمدة، وهي تقع تحت الوعي الكامل للمبدع، وتتمثل في نصوص ظاهرة جلبت عمدًا لإرادة دخولها في نصٍ ما؛لتحقيق الأهداف المقصودة منها بعد اندماجها في مياه النص، أو التحامها بنسيجه على نحو محكم"[1] .

ومن نماذج التناص الواعي القصدي في النص الشعري لحمزة شحاتة اجتراره البيت الشعري للشاعر السموأل بن عادياء، يقول السموأل:

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ "فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ[2]

يقول حمزة شحاتة:

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤمِ عرضه فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ[3]

إنَّ اللفظ هو اللفظ وترتيب وتركيب العبارة الشعرية نفسه، وبالضرورة لن يختلف المعنى في بيت حمزة شحاتة عنه في بيت السموأل .

وحمزة شحاتة يجتر الشعر القديم بالوقوف والبكاء على الأطلال، يجتر لفظه ومعناه، في تناص قصدي واعٍ، غير أنَّهُ يعمد إلى استبدال مفردة بأخرى، أو يعيد ترتيب جزء من العبارة الشعرية، وهذه تغييرات لا تؤثر في اجترارية النص، يقول حمزة شحاتة:

ماذا وقوفُكَ بالأطلالِ والدِّمَنِ مُوَزَّعَ النَّفسِ بين الشِّعر والشَّجَنِ[4]

تناصًا باللفظ والمعنى مع قول الشاعر البحتري:

كَمْ من وُقُوفٍ على الأطلال وَالدِّمَنِ لم يَشفِ، من بُرَحاءِ الشَّوْقِ، ذا شجنِ[5]

وتناصًا باللفظ والمعنى مع قول الشاعر ابن الرومي:

دَعِ الوقوفَ على الأطلال والدمَنِ وذِكر جيرتكَ الغادين للظَّعن[6]

(١)التناص الواعي:شكوله وإشكالياته، فاروق عبد الحكيم دربالة، مجلة فصول، مصر، عدد ٦٣، ٢٠٠٤م، ص ٣٠٩ .

(٢)ديوان السموأل، تحقيق وشرح واضح عبد الصمد،،دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-١٩٩٦م، ص ٦٦.

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٥٠ .

(٤)المرجع السابق ، ص ٥٣٦ .

(٥)ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ص٢١٥٨ .

(٦)ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، ص ٤٧٢ .

وقد يعمد حمزة شحاتة إلى التناص الذاتي باجترار مطالع قصائده لفظًا ومعنىً كما في قوله في مطلع قصيدة"بعد صفو الهوى":

بَعْدَ صَفْوِ الهَوَى وطيبِ الوفاقِ عَزَّ حتَّى السلامُ عندَ التَّلاقي[1]

ومطلع قصيدة"سطوة الحسن"في قوله:

بعدَ صَفوِ الهَوى وطِيبِ الوِفاقِ عَزَّ حتَّى السَّلامُ عندَ التَّلاقي[2]

والنص الشعري لحمزة شحاتة جتر صورة تطاول الليل عند النابغة الذبياني بما تثيره في النفس من الهموم والتشاغل بمراقبة كواكبه، يقول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيهِ بطيءِ الكواكبِ

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ وليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ[3]

يجتر النص الشعري لحمزة شحاتة من الذبياني زمانية الحدث الليلية، والطلب من المرأة أنْ تتركه أسير وحدته وحزنه، يقول حمزة شحاتة:

وَكِليني لِوَحدَتي في زوايا الصَّمتِ أسرِي على غياهِب حُزني

وتناسَي عَهدِيَ البئيسَ، فإن شاقَكِ أمري فَسَائِلي اللَّيلَ عَنِّي[4]

وفي موضعٍ آخرَ يلجأ حمزة شحاتة إلى الاجترار، باجتزاء مشهد الذبياني السابق من التحديق في الفضاء والشعور بالضيق من مراقبة النجوم، يقول حمزة شحاتة:

وناءَ بيْ التَّحديق في الفضَاء

وضِقتُ بالنُّجوم[5]

ومن نماذج الاجترار اللفظي اجترار النص الشعري لحمزة شحاتة عبارة (يا قلب اتئد) من النص الشعري للشاعر إبراهيم ناجي، يقول حمزة شحاتة:

ويا قلبُ إن يَعصِفْ بكَ الحُزْنُ فاتَّئِدْ فَكَم ضاعَ مَسعىً للقلوبِ وأخفَقَا[6]

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٥٣ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٣)ديوان النابغة الذبياني،تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، لبنان–بيروت،١٦٠٠ / ١ / ١٩٦٨، ص ٥٤ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٣٤٢.

(٥)المرجع السابق،ص ٣٩٦ .

(٦)المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

يقول الشاعر إبراهيم ناجي:

رفْـــرَفَ القلـــبُ بجنبـــي كالـــذبيحْ وأنـــا أهتـــف: يـــا قلـــبُ اتَّـــدْ[1]

-التناص الاجتراري مع الأجناس الشعبية:

من نماذج التناص باجترار المثل الشعبي قول حمزة شحاتة:

(وايـــهْ لُـــزوم كلامـــي مَنْـــتَ عارفُـــه) مُـذ ضـاع عمـرُك بـين الشَّـام والـيمن؟[2]

وحمزة شحاتة لم يكتف باجترار اللفظ العامي من المثل، بل اجتر معناه من ضياع العمر دون أن يحقق الإنسان إنجازًا، كما في المثل الشعبي:"لا طال توت الشام ولا عنب اليمن"[3].

ومن نماذج التناص باجترار الأسطورة المصرية القديمة قول حمزة شحاتة:

لَيـتَ شِـعْري! مـاذا دهـا النِّيـلَ فـي النَـا سِ؟؟ أصـــــــيبوا بأقتـــــــلِ الأدواءِ

حينمـــا ألَّهـــوا أبـــيسَ، فأصْـــلا هُـــمْ جحيمًـــا.. مُستشـــريًا كالوَبـــاءِ[4]

يجتـر الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة أسـطورة تأليـه المصـريين القـدماء للعجـل أبـيس وما جرته عليهم عبادة الأوثان من غضب الله-عز وجل-فأصيبوا بأقتل الأوبئة .

(١)ديوان إبراهيم ناجي، ص ١٣ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٣٨ .

(٣)الأمثال العامية، أحمد تيمور، ص ٣٩٢ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٦.

المبحث الثاني: التناص الامتصاصي

"إنَّ الامتصاص مرحلة أعلى في قراءة النص الغائب، وهذا القانون الذي ينطلق أساسًا من الإقرار بأهمية هذا النص وقداسته، فيتعامل وإياه تعاملًا حركيًا تحويليًا لا ينفي الأصل بل يسهم في استمراره جوهرًا قابلًا للتجديد، ومعنى هذا أَنَّ الامتصاص لا يُجمد النص الغائب ولا ينقده، إنه يُعيد صوغه فحسب على وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كُتب بها، وبذلك يستمر النص غائبًا غير ممحو، بدل أن يموت"[1]، والتناص يقع في الشكل والمضمون،"لأننا نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة ((عالمة)) أو ((شعبية)) أو ينتقي منها صورةً أو موقفًا دراميًا أو تعبيرًا ذا قوةٍ رمزيةٍ، ولكننا جميعًا نعلم أنَّهُ لا مضمون خارج الشكل، بل إنَّ الشكل هو المتحكم في المتناص والموجه إليه، وهو هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي، ولإدراك التناص، وفهم العمل الأدبي تبعًا لذلك"[2].

–التناص الامتصاصي مع القرآن الكريم:

ومن نماذج التناص باللفظ القرآني، وامتصاص معانيه، قول حمزة شحاتة:

ألقِها ناشرًا ضعيفَ ألاعيـ ـبِكَ، تُضحِكْ خفها الأطفالا
كلما صِحتِ يا ثعابينُ! أو دَمـ ـدمْتَ زيفًا خفُّوا إليك عِجالا
وأجالوا في قُفَّة السَّاحر القَز مِ عيونًا ترى المَحال مُحالا[3]

فالأبيات تمتص معناها وفكرتها من القصص القرآني في قصة موسى عليه السلام، وإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم يريدون خداع أعين الناس، كما في قوله تعالى:"قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴿٦٥﴾قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴿٦٦﴾فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴿٦٧﴾ سورة طه. إلا أَنَّ النص الشعري لحمزة شحاتة يستدعي مفردات الآية الكريمة:(تلقي،سحرهم–يخيل)، ويستبدل يخيل بلفظ الزيف، ثم يمتص من الآية الكريمة المشهد وفكرة الزيف والسحر والخداع؛ ليعيد تأليفها في وصف المخادعين الذين وصفهم بالثعابين فهؤلاء المخادعون حججهم واهية ضعيفة لا ترقى أن تخدع–حتى–عقول الصغار.

---

(١)ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس،ص٢٥٣ .

(٢)تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص ١٢٩، ١٣٠ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥١٨ .

وعلى مبدأ تكثيف القيمة والمعنى يلجأ النص الشعري إلى امتصاص معاني الطهر والنقاء المتجسدة في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ ليخلع هذه المعاني الساميات على الفتيات المسلمات، يقول حمزة شحاتة:

عن أمهاتِ المؤمنين ... نَ المُنْجِبَاتِ، البانِيات
الكادِحاتِ السابقا ... تِ القانتاتِ، الطاهِرات
يضْربن في لهبِ الصرا ... عِ مفدَّيات، فادِيات
ويَردْن أغوارَ الحُتو ... فِ، مُصلِّيات، صائِمات[1]

فلفظة أمهات المؤمنين تحمل دلالات مركزية،يدور في فلكها دلالات فرعية تفصيلية من معاني الطهر والنقاء والقنوت والسبق في ميادين الجهاد، وهذه الدلالات بشقيها المركزي والفرعي استلهمه النص الشعري لحمزة شحاتة من قوله تعالى:"النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴿٦﴾ سورة الأحزاب .

وحمزة شحاتة يستلهم المعاني السامية التي وردت في آيات سورة الإسراء، فيمتص معاني الإسراء وإفساد بني إسرائيل التي وردت في قوله تعالى:"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿١﴾وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴿٢﴾ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴿٤﴾فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴿٥﴾ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴿٦﴾إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴿٧﴾ سورة الإسراء. ليعالج بها قضايا موضوعية آنية وهي قضية طرد المحتلين وتحرير المقدسات، ونلحظ ذلك التناغم من التداخل بين الرموز الدينية والتاريخية، كالعقاب والقصواء والإسراء والمعراج؛ ليتطور النص سريعًا إلى السير على درب الجهاد القديم لأجل تحرير المقدسات.

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٩ .

كما في قوله:

رقَصَـــت رايـــةُ "العُقـــاب" عليهـــا فـــي نَشـــيدٍ يَحـــدو خُطـــى "القَصْـــواء
إنَّـــه دربُنـــا القـــديمُ جِهـــادًا نَبَـــوِيَّ المِعـــراجِ والإســـراءِ[1]

ومـا زال الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة يقتفـي أثـر رحلـة الإسـراء والمعـراج، حتـى سـدرة المنتهـى، يمـتص الـنص الشـعري معـاني الجمـال والروعـة فـي سـدرة المنتهـى، ليجعـل مـن البيـت الحـرام والـركن اليمـاني وقبـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم منـارًا للسـدرة العصـماء فهـلاك الطغـاة وسـوء المصـير الـذي ينتظـرهم مقـرونٌ بمـدى اهتـداء الأمـة بالمنـار الـذي هـو البيت والركن والقبر، يقول حمزة شحاتة:

وكـــأنِّي بالبيـــتِ والـــرُّكنِ والقَبـــ ـــرِ مَنـــارًا للسِّـــدْرة العَصـــماء
رُبَّ طـــاغٍ عَتـــا، فســـاءَ مَصِـــيرًا حيثمـــا ازدادَ وَهمُـــهُ فـــي النَّجـــاءِ[2]

امتصاصًا للمعنى واللفظ القرآني كما ورد في قوله تعالى عن سدرة المنتهى:"وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴿١٣﴾عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴿١٤﴾عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴿١٥﴾ سورة النجم

ويسـتدعي حمـزة شـحاتة مشـهد احتضـار الإنسـان، وقـد بلغـت الـروح الحلقـوم، وكـاد الجسـد أن يستسـلم، يسـتدعي رمزيـة مشـهد المـوت والاحتضـار فـي سـياق وصـفه لحـال الأمـة وحزنـه عليها،مـذكرًا قومـه بماضـيهم وعـزتهم، كـي يسـتفيقوا ويبعثـوا أمـتهم مـن المـوت فيقول حمزة شحاتة :

ذكَّـرتُ قـومي بماضِـيهم فمـا نطقـتْ إلاَّ العيـــونُ بإذعـــانٍ وتســـليم
يـا لَلْسَـوامِ بمرعاهـا تفـيضُ رِضـىً والمـوتُ يأخـذُ منهـا بـالحلاقِيم[3]

استدعاءً للمعنى في قوله تعالى: "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴿٨٣﴾ سورة الواقعة

وفـي سـياق توظيـف الـنص الشـعري لخدمـة قضـية أخلاقيـة وهـي عـدم التنـابز بالألقـاب أو التعـالي بالأحسـاب، لأن بنـي البشـر يرجعـون كلهـم لأصـل واحـد: أب واحـد وأم واحـدة، يلجـأ حمـزة شـحاتة إلـى امتصـاص معنـى وحـدة الخلـق وعـدم تمـايزهم مـن قولـه تعـالى:"يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُـمُ الَّـذِي خَلَقَكُـم مِّـن نَّفْـسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا وَبَـثَّ مِنْهُمَـا رِجَـالًا كَثِيـرًا وَنِسَـاءً وَاتَّقُـوا اللَّـهَ الَّـذِي تَسَـاءَلُونَ بِـهِ وَالْأَرْحَـامَ إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلَـيْكُمْ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٩ .

(٢)المرجع السابق، ص ٢٣١ .

(٣)المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

رَقِيبًا﴿١﴾ سورة النساء؛ ليضمنه نصه الشعري،مُستفيدًا من قدسية وحجية النص القرآني في إطار طرحه لقضية وحدة النوع والأصل الإنساني، والتنفير من التعالي أو التنابز، يقول حمزة شحاتة:

يا ليْلُ ما الأحْساب والكل من حواء[1]

وفي قصيدة"ليْتَ العقول سواء"يقول:

وفِيمَ؟ ويَنْبوعُ الخَليقَةِ واحدٌ تمايَزَتِ الأضدادُ، والنُّظَرَاءُ

هُدىً، وضَلالًا، واتّفاقًا، وفُرقَةً وخَيرًا، وشَرًّا، والعُقولُ سَواءُ[2]

وفي قصيدة"إلى الساحر العظيم"يقول :

إنَّ كَونًا يَعجُّ بالنَّاس، قد كا نَ له والدٌ وحيدٌ وأمُّ[3]

ويتجلى التناص الامتصاصي مع النص القرآني؛ ليكشف عن إيحاءات المتناص الامتصاصي مع المعنى القرآني في قوله تعالى:"وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴿٢٢٤﴾أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴿٢٢٥﴾وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴿٢٢٦﴾ سورة الشعراء، فالآيات الكريمة تحذر من الشعراء الذين يعمدون–بسحر بيانهم– إلى تضليل الناس، فيتبعهم الناس، وقد تسلل هذا المعنى إلى ثنايا النص الشعري لحمزة شحاتة، من التحذير من أدعياء الثقافة والبراءة الذين يطوفون بين الناس ويخدعونهم بالألفاظ الخلابة، يقول حمزة شحاتة:

يتنكر بثياب أديبٍ شاعر

ويطوف ويلقى الناس

ويخدعهم

بتقى الأبرار[4].

وقد يعمد حمزة شحاتة إلى النص القرآني في قوله تعالى:"أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴿٧٨﴾ سورة النساء؛ ليجعل من فكرة حتمية الموت دلالة مركزية، ليطرح في فلكها دلالات أخرى، كالمساواة بين البشر وعدم التمايز، فكل بني البشر مصيرهم الموت:غنيهم وفقيرهم.

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٧٣ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٦٠ .

(٣)المرجع السابق، ص ٥١٦ .

(٤)المرجع السابق ،ص ١٨٤ .

يقول حمزة شحاتة:

والـــرَّدى صـــائدُ النُّفـــوسِ فمـــا فَـــرَّ كِنـــاسٌ منـــه، ولـــم يَـــنجُ عِـــيصُ[1]

كما يطرح حمزة شحاتة من خلال فكرة حتمية الموت–دلالة فرعية أخرى، وهي التهيؤ والاستعداد للموت، كما في قوله:

أيُّهـــا المرتَجِـــي خُلـــودًا علـــى الأر ضِ، تَهَيَّـــأْ، فقـــد دَعَـــاكَ الشُّـــخوصُ[2]

أو يطرح قيمة الشجاعة وعدم الخوف، كما في قوله:

إنمـــا الصَّـــبرُ –والمَنِيَّـــةُ غَيـــبٌ– أَن تَخـــوضَ الغِمَـــارَ غيـــرَ مُـــوَقَّى

كـــم نَجَـــا مِـــن كريهـــةٍ مُســـتَميتٌ وأصـــابَت ســـهامُها مَـــن تَـــوَقَّى

حِكمَـــةٌ أن تُصـــانَ بالصَّـــبر والـــذُّ لِّ حيـــاةٌ، لـــو أنَّ حَيّـــاً ســـيَبقى

غيـــرَ أنَّ البقـــاءَ أُحبولَـــةُ المـــو تِ، أُقيمَـــت لنـــا، نُســـورًا.. وَوُرقَـــا[3]

والنص القرآني حاضر بمعناه في ذهن حمزة شحاتة، يتسلل إلى نصه الشعري، فيزدان ويتألق، كما أنه يعمد إلى تفسيره بعد أن يتشرب معناه، كما في قوله:

حيـــث تَبقَـــى الصَّـــلاةُ تَقـــوى وطُهـــرًا لا فِخاخًـــا لِلبيـــع أو للشِّـــراء

حيـــث لا يَجـــبُنُ الشُّـــجاعُ لمـــا يَخـــ ـــشَاهُ مـــن ســـامعٍ يَشـــي أو رَائـــي[4]

وقد اعتمد حمزة شحاتة على الصلاة كأداة تفسيرية لقيمة الإخلاص في العبادة وعدم اتخاذها أداة لخداع الناس، بينما النص القرآني كانت صيغته أكثر انفتاحًا، فليست الصلاة وحدها معيار قياس الإخلاص والنفاق، بل الأعمال كلها. كما في قوله تعالى:"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴿١٠٣﴾الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴿١٠٤﴾ سورة الكهف

(١) الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٤٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

(٣)المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

(٤)المرجع السابق ، ص ٢٢١ ،٢٢٢

ومن التناص بامتصاص المعنى القرآني مع إعادة تأويله في معانٍ جديدة قول حمزة شحاتة في قصيدة "فلسفة الصبر":

هِيَ وَهْمٌ مُجَدَّدٌ، أنتَ منه ... في نِضالٍ، بهِ تَنوءُ، وتَشقَى
وَهْيَ لغزٌ، تَمضِي الحياةُ، ولا تَكـ ... ـشِفُ عنه الظنونُ، خَرقًا ورَتقا[1]

ولفظة (الرتق) وردت في القرآن في سياق الوصف القرآني لمشهد خلق السماوات والأرض، في قوله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴿٣٠﴾ سورة الأنبياء. بينما حمزة شحاتة يستلهم اللفظ في سياق جديد،وصفًا للإنسان الذي غاب عنه مفهوم السعادة في الحياة، فهو واهم وأخرق.

ومع تقادم رحلة الإنسان في الحياة يذبل جسمه ويُصاب بالوهن والضعف، إيذانًا بدخوله مرحلة الشيخوخة، ثم الموت، والنص الشعري لحمزة شحاتة يمتص هذا المعنى الواصف من القرآن الكريم، إلا أنه يجتزئ المعنى ويختزله في مشهد النهاية فقط، ويشبه حال الإنسان في شيخوخته بحال الشجر اليابس، يقول حمزة شحاتة:

فالوجهُ ضاوٍ، والرَّأسُ منجَرِدٌ ... والجسمُ ذَاوٍ، كيابِس الشَّجَرِ[2]

تناصًا مع قوله تعالى:"اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴿٧٠﴾ سورة النحل، وقوله تعالى:"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴿٥٤﴾ سورة الروم، ومن قراءتنا للنصين القرآنيين ونص حمزة شحاتة نلحظ أنَّ شحاتة اجتزأ النص، بينما النص القرآني أوجز في وصف رحلة الإنسان بجميع مراحلها منذ صغره حتى بلوغه مرحلة الضعف والشيخوخة.

كما يتعرض حمزة شحاتة للخمر، محذرًا من عاقبتها السيئة والإثم الذي يلحق بمتناولها، يمتص الأمر الوارد بوجوب اجتناب الخمر الوارد في قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٥١ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٣٤ .

تُفْلِحُونَ﴿٩٠﴾ سورة المائدة ،غير أَنَّ النص الشعري يمتص المعنى القرآني، فشارب الخمر،الذي يلثم أعتاب الحانات، تنال الخمر من كرامته ومروءته، يقول حمزة شحاتة:

فأنتَ لحاناتِك الرَّاوياتِ تَفيءُ، وتَلثُم أعتابَها
فتَجزيكَ عبًّا على أخدَعَيْك مآثمُ، تشرب أنخابَها
وما أنتَ فيها، ولا أنتَ منها سوى حَوْبَة خاب من حابَها[1]

وفي قصيدة "مرحبًا بالثوار" يتناص النص الشعري ويتعالق باللفظة قربان مع القرآن الكريم، كما في قول حمزة شحاتة :

الماضِي.. صوتٌ يَهتِفُ بي
قَدِّمْ قُرْبانَكْ
والحاضِرُ سجنٌ يَصرَخُ في وجهي
انبِذْ سجَّانَكْ[2]

تناصًا باللفظة قربان وامتصاصًا لمعاني قصة ابني آدم وتقديمهما القرابين في قوله تعالى:"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴿٢٧﴾ سورة المائدة، غير أَنَّ حمزة شحاتة يستغل القصة الدينية لابنَي آدم في ثنايا عرضه لقضية مركزية، وهي تقديم القرابين والتضحية من أجل استعادة أمجاد الماضي، والصراخ في وجه الطغاة الظالمين، إيذانًا بتحرر الحاضر.

وكما تعرض الذكر الحكيم في محكم التنزيل لوصف الجبال بالراسيات، يتعالق النص الشعري لحمزة شحاتة مع هذا المعنى ويقترب منه، كما في قوله:

مَن له بالجبال تَلقاه بالهُزءِ، صنيعَ القويِّ بالمكدودِ؟
شامخاتٍ، إذا تطامن بحرٌ أو تَنزَّى به عُرام الحَقود
راسياتٍ، لا من ونَى أو لُغوبٍ، ساكناتٍ، لا من عنًى أو جُمودِ[3]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٩١ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٩١ .

(٣)المرجع السابق ،ص ٥٠٥، ٥٠٦ .

تناصًا مع المعنى في قوله تعالى:"وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴿٣٢﴾ سورة النازعات، وقوله تعالى:" وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥﴾ سورة النحل، والنص القرآني يصف الجبال بالراسيات، أمَّا النص الشعري لحمزة شحاتة فإنه يعمد إلى امتصاص معنى قوة الجبال الراسيات في وصف الإنسان القوي المعتز بشموخه وكرامته .

وعندما يتعرض حمزة شحاتة للفظة(المال)، فإنَّهُ يستلهم معناها، كما ورد في القرآن الكريم، في نفس الإطار النقدي القرآني من التحذير من اشتهاء المال، وجعله معيارًا للحياة، به تُسْتذلُ أعناق الرجال وتُسْترقُ، كما في قوله:

المالُ معيارُ الحياة، ومُشتَرِي رِقَّ الرِّجالِ بها، وزَنْدُ المُوري[1]

وذلك تناصًا بامتصاص المعنى القرآني السامي في قوله تعالى :"زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴿١٤﴾ سورة آل عمران، ونلحظ أَنَّ النص الشعري لحمزة شحاتة اجتزأ المعنى القرآني للتحذير من اشتهاء المال، واستغلاله في استرقاق الناس، غير أنَّ النص القرآني لا يكتفي من التحذير من شهوة المال، بل يضع لها العلاج الشافي، وهو أنْ يشتهي الإنسان الأعمال الصالحة، فهي الأبقى والأصلح، كما في قوله تعالى:"الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴿٤٦﴾ سورة الكهف

وفي قصيدة"يا صغيرتي"يقتفي حمزة شحاتة أثر اللفظ القرآني، ويستلهمه ليضمنه نسيجه الشعري، فيمتص اللفظة(قَرِّي)، من القرآن في سياق تدليله لطفلته الصغيرة،كما في قوله:

لكِ مني صَدرٌ رحيبٌ، وإنْ ضا قَ بما في الحياةِ ذَرْعًا، فَقَرِّي[2]

تناصًا باللفظ (قَرِّي)، وامتصاصًا لمعنى السعادة وأن تقر العين كما وردت في قوله تعالى:"فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا.. ﴿٢٦﴾ سورة مريم ، وقوله تعالى :"وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٤٠ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

قُـرَّتُ عَـيْنٍ لِّـي وَلَـكَ ﴿٩﴾ سورة القصص ، وقولـه تعـالى :" فَـلَا تَعْلَـمُ نَفْـسٌ مَّـا أُخْفِـيَ لَهُـم مِّـن قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٧﴾ سورة السجدة

كمـا يسـتلهم حمـزة شـحاتة غـزوة الأحـزاب، مـن خـلال اللفظـة(الخنـدق)، غَيْـر أنَّ لفظـة (الخنـدق) لـم تُـذْكر فـي القـرآن الكـريم، وإنمـا وردت قصـة غـزوة الأحـزاب بشـيء مـن التفصـيل، والـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة يمـتص القيمـة الرمزيـة للخنـدق فـي سـياق معركتـه ورفاقه، طلبًا للحرية، كما في قوله :

ووقفتُ أُدافِعُ عنها بشقائي في المَيدان..

وبسُهدِي في الخندق..

تحت النِّيران..

بزَهرةِ عُمرِي.. بأمانيِّ شبابي..

وبمن ماتوا.. من أهلي.. وصِحَابي[1]

امتصاصًـا لمعـاني تضـحيات المـؤمنين فـي غـزوة الخنـدق، وخلعهـا علـى معركتـه الآنيـة التـي ضـحى فيهـا بزهـرة شـبابه وآمالـه، كمـا ورد فـي قولـه تعـالى :"يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ عَلَـيْكُمْ إِذْ جَـاءَتْكُمْ جُنُـودٌ فَأَرْسَـلْنَا عَلَـيْهِمْ رِيحًـا وَجُنُـودًا لَّـمْ تَرَوْهَـا وَكَـانَ اللَّـهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرًا﴿٩﴾إِذْ جَـاءُوكُم مِّـن فَـوْقِكُمْ وَمِـنْ أَسْـفَلَ مِـنكُمْ وَإِذْ زَاغَـتِ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَـتِ الْقُلُـوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴿١٠﴾هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴿١١﴾ سورة الأحزاب

-التناص الامتصاصي مع الحديث النبوي الشريف:

مـن نمـاذج التنـاص بامتصـاص معـاني الحـديث النبـوي الشـريف اسـتدعاء حمـزة شـحاتة شخصـية فاطمـة رضـي الله عنهـا بنـت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، ويتجلـى مسـتوى الامتصـاص فـي الإيجـاز اللفظـي فـي كلمـة(الفواطم)،حَيْثُ جعلهـا اسـم جـنس لكـل معـاني الطهـر والنقـاء، فالفتيـات المسـلمات هُـنَّ حفيـدات(الفواطم)، أي حفيـدات كـل الصحابيات رضي الله عنهن في طهرهن ونقائهن وحُسْن إسلامهن، كما في قوله:

مَرْحَـــى حفيـــداتِ الفـــوا طـــمِ فـــي الغمـــارِ مكبـــراتِ[1]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٩٨ .

تناصًا باللفظ والمعنى مع ما ورد في السنة النبوية المطهرة في مناقب فاطمة–رضي الله عنها، مثل ما رُوي من حديث أم المؤمنين عائشة–رضي الله عنها–أنها قالتْ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَلَا أُبَشِّرُكَ، أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:"سَيِّدَاتُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ"[٢].

والنص الشعري لحمزة شحاتة يعمد إلى امتصاص لفظة(الجاهلية)، كمثير لكل شمائل الإباء واعتزاز العربي بنفسه، ودفاعه عن أرضه وعرضه وشرفه، فيثير نخوة العربي المعاصر؛ ليتحمل مسؤولياته تجاه تحرير المقدسات، كما أَنَّه يحارب بنصه الشعري ما استشرى في مجتمعاتنا العربية من التشرذم والتنابز واستدعاء ترهات الجاهلية.

يقول حمزة شحاتة:

ألتلكَ التُرهاتُ.. الجاهليةُ

من بقيةٍ.. يتجددْ..؟

بَعد مَا أشرقَ نورُ الحقِّ

واندكتْ صروحُ الهمجيةْ

وغدَا الربُّ.. جَمالًا.. وجَلالًا.. وكَمالا

وسِباقًا.. وانْطلاقًا.. في ميادينِ الفضيلةْ

وكِفاحًا.. مستحرًا

ضدَ أغلالِ الرذيلةْ

وإباء عربيًا

هو ميراثُ الإباءِ الجاهلي المتحرِّرْ[٣]

والأبيات سالفة الذكر تمتص معانيها من الحديث النبوي الشريف الذي ورد عن أبي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ:"اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٨ .

(٢)السلسلة الصحيحة،محمد بن ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، الرياض، المجلد الثالث، ص ٤١١ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٠٧،١٠٨

فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوِ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟"[1].

كما يلجأ النص الشعري لحمزة شحاتة إلى امتصاص معاني الزهد في الإسلام، كما وردت في السنة النبوية المطهرة، غَيْر أنَّ شحاتة يحمل على مدعي الزهد والزهادة، لقصر ما تطوله أيديهم من نعيمها، يقول حمزة شحاتة:

ما هانتِ الدنيا على زاهدٍ لكنها إقصارةُ الجاهد[2]

وحمزة شحاتة بهذا المعنى يُعلل تزهُد بعض مدعي الزهد لضيق ذات اليد امتصاصًا لمعاني هوان الدنيا والزهد فيها من الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم:"مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ"[3] .

وحمزة شحاتة يؤكد على قضية أَنَّ للشعر وظيفة أخلاقية في الارتقاء بأخلاقيات المجتمع، لا أن يستغل أحد ما مهاراته الأدبية والشعرية في خداع الناس، وهو يدعي الطهر والبراء، وشحاتة بهذا المعنى يستلهم قوله صلى الله عليه وسلم :"أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها الشاعرُ كَلِمَة لَبِيدٍ:"أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ"[4]، كما يعي حمزة شحاتة الأدوار الوظيفية للشعر في الدفاع عن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم فيما ورد في السنة النبوية المطهرة أَنَّ حَسَّانَ بنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَكَيْفَ بِنَسَبِي» فَقَالَ حَسَّانُ: لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ"[5]، يمتص النص الشعري لحمزة

(١)صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٥١٨، ص ٨٦٩ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٤٢.

(٣)الجامع الكبير، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق د. بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٦م، مج ٤، رقم الحديث ٢٤٦٥، ص ٢٥٢.

(٤)صحيح البخاري، رقم الحديث ٦١٤٧،ص ١٥٣٦ .

(٥)المرجع السابق، رقم الحديث ٦١٥٠،ص ١٥٣٧ .

شحاتة هذه الأدوار الوظيفية والأخلاقية التي وردت في السنة النبوية المطهرة؛ ليحمل على أدعياء الشعر والطهر، كما في قوله :

جاسوسٌ غادرْ

يتنكر بثياب أديبٍ شاعرْ

ويطوف ويلقَى الناسَ

ويخدعهم

بتقى الأبرارْ[1]

وفي سياق مواجهة الطغاة والدفاع عن الضعفاء يلجأ النص الشعري إلى امتصاص معنى غيرة الله عز وجل لتذكير هؤلاء الطغاة الظالمين بالانتقام الإلهي منهم، لأنهم غصبوا الضعفاء حقوقهم، وشحاتة بهذا المعنى يستلهم الحديث النبوي الشريف لفظه ومعناه في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ"[2]، غيْر أَنَّ النص النبوي الشريف أكثر سعةً وانفتاحًا من النص الشعري لحمزة شحاتة، فغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله، فالله عز وجل يغار ويغضب أن يتشاغل عبده بغير طاعته عز وجل،وأَنْ ينصرف قلبه إلى الشهوات وارتكاب المعاصي، فيظلم نفسه، ويظلم غيره، فغيرة الله بذلك المعنى أعم وأشمل من المعنى المُختزل في النص الشعري لحمزة شحاتة.

يقول حمزة شحاتة :

إن لِلـــــهِ غَيْـــــرةً وانتقامًـــــا عصَـــــفا بالطُّغـــــاة، للضُّـــــعفاءِ

عَمِـــيَ الظَّـــالمون عـــن سُـــبُل الحَـــقِّ فهـــاموا فـــي الفِتنـــةِ العَميـــاءِ[3]

وحمزة شحاتة عندما يتباهى بشاعريته، فإنه يستحضر من وجدانه وذاكرته نبي الله داوود عليه السلام وما عُرِف عنه من حلاوة الصوت، وفيما رُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ:"يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُعْطِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٨٤.

(٢)صحيح مسلم، رقم الحديث ١٤٩٩، ص ٦٩٩.

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٣.

آلِ دَاوُدَ"[1]، وحمزة شحاتة بهذا المعنى يتنقل في خفة بين مستويات التناص، فيجتر نصه الشعري من الحديث الشريف لفظه(مزمار داوود)، ثم يمتص معناه في حلاوة الصوت، فيخلعه على أصوات أوتاره التي تنفث من شجوه وحزنه ما مل أن يكتمه في نفسه ،يقول حمزة شحاتة:

فانطَلَقَت أوتارهُ، نافِثًا من شَجوِه ما مَلَّ كِتمانَه
مزمارُ داود، وقد رجَّعَت مواطنُ الإحساسِ إحسانَه[2]

وفي قصيدة"لِمَ أهواك"يتعالق النص الشعري مع معنى(محبة لقاء الله عز وجل) كما وردت في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ"[3]، فهو يخاطب روحه بلست تدري، ويخاطب نفسه بقوله:ولا أنا أدري، لم تهفُ روحه إلى لقاء الله عز وجل، يقول حمزة شحاتة:

لستَ تَدري! نَعَم، ولا أنا أدري لِمَ تَهفو إلى لِقائكَ رُوحي؟[4]

وفي سياق تعريف حمزة شحاتة لمعاني الزهد في الدنيا يلجأ النص الشعري عنده إلى امتصاص المعنى من السنة النبوية المطهرة، فيستلهم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[5]، وحمزة شحاتة بهذا المعنى لا يخرج عن المعنى النبوي في تعريف(الزهادة)، حيث لا رهبانية في الإسلام، فالإنسان بطبعه مؤمل تعتمل نفسه بالطموح الذي يحرك عزيمته في سبيل تحقيق أهدافه الدنيوية.

(١)صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٠٤٨، ص ١٢٨٨ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٣٥ .

(٣)صحيح البخاري، رقم الحديث ٦٥٠٧، ص ١٦١٨ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٣٣٣ .

(٥)صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٠٦٣، ص ١٢٩٢ .

يقول حمزة شحاتة:

آمالُنـــا مِـــلءُ النُّفـــوسِ، فهـــل تُـــرى صَـــفِرَت مـــن الآمـــالِ نفـــسُ الزَّاهـــدِ؟

وأرى الزَّهـــادَةَ فـــي مظاهرهـــا تُقـــىً مـــن تحتِـــه لَهَـــبُ الطِّمـــاح الخامـــدِ[1]

وحمـزة شـحاتة يحمـل علـى مـن عبـدوا المـال، فخـارت مـروءتهم، وفقـدوا كـرامتهم وماتت فيهم دواعي العزة، يقول حمزة شحاتة:

أرانـــا عَبَـــدنا المـــالَ، والجـــاهَ، واللُّهَـــى فماتَـت دَواعـي الكِبْـرِ فينـا. فمـا نَحـنُ؟[2]

فمـا نحـن؟ بهـذا الاسـتفهام خـتم حمـزة شـحاتة بيتـه الشـعري، مغيـرًا فـي الطريقـة المعتـادة فـي إلقـاء السـؤال، فالسـؤال إجابتـه الشـطر الأول مـن البيـت، نحـن مـن عبـدنا المـال وحمـزة شـحاتة بهـذا السـؤال يمـتص المعنـى الـوارد فـي الحـديث النبـوي الشـريف، مسـتبدلًا صـيغة الغائـب كمـا وردت فـي الحـديث النبـوي الشـريف بصـيغة المـتكلم، قـال صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:"تَعِـسَ عَبْـدُ الـدِّينَارِ، وَعَبْـدُ الـدِّرْهَمِ، وَعَبْـدُ الْخَمِيصَـةِ، تَعِـسَ وَانْـتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ"[3].

وفـي سـياق "المنـاظرة الشـعرية بـين الشـاعرين حمـزة شـحاتة، ومحمـد حسـن عـواد"[4] يلجـأ حمـزة شـحاتة إلـى اسـتدعاء مشـهد "دخـول النَّبِـيِّ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مَكَّـةَ يَـوْمَ الفَـتْحِ، وَحَـوْلَ البَيْـتِ سِـتُّونَ وَثَـلاَثُ مِائَـةِ نُصُـبٍ فَجَعَـلَ يَطْعُنُهَـا بِعُـودٍ فِـي يَـدِهِ، وَيَقُولُ:جَـاءَ الحَـقُّ وَزَهَـقَ البَاطِـلُ، جَـاءَ الحَـقُّ وَمَـا يُبْـدِئُ البَاطِـلُ وَمَـا يُعِيـدُ"[5]، يعمـد حمـزة شـحاتة إلـى امتصـاص المعنـى، فيخلـع علـى عـواد صـفة الصـنم الهـاوي، ويحمـل علـى رفاقـه،بأنهم أهـل الباطل المنهزم، يقول حمزة شحاتة:

إلـــى الصَّـــنم الهـــاوي، وقـــد ثَـــلَّ عرشَـــه زمـــانٌ علـــى هَـــدم الضَّـــلالاتِ قـــادرُ

يَطـــوف بـــه هَزلَـــى رَزاحٍ، تهـــافتوا عليـــه، تُمنِّـــيهم نفـــوسٌ فَـــواتِرُ

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٤٥ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٥٣ .

(٣)صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٨٨٦، ص ٧١٢ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٩٧

(٥)صحيح البخاري، رقم الحديث ٤٢٨٧، ص ١٠٤٩ .

أنـــاطُوا بـــهِ آمـــالَهم، فتعثَّـــرَت وعـــاجَلَهم مـــن مُتَّقِـــي الهـــولِ فـــاغِرُ

إلـــى الباطـــلِ المَهـــزومِ بعـــد افتضـــاحِه وقـــد ســـئِمَته أنفـــسٌ وضـــمائرُ[1]

-التناص الامتصاصي مع التاريخ:

ينهـل الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة مـن التـاريخ، فيمـتص أحداثـه وقيمـه وعظاتـه ورمـوزه وأبطاله،باستحضـار الرمـوز التاريخيـة المكانيـة والزمانيـة؛ ليصـبغها بالصـبغة الآنيـة فـي سـبيل اسـتعادة مجـد الأمـة، كمـا فـي اسـتدعائه القيمـة المكانيـة لمكـة المكرمـة، فينفـتح نصـه الشـعري علـى تاريخيـة المجـد المكـي وزمانيـة مكـة وحاضـرها عنـدما تتـألم مرتديـة أثـواب الحـداد، لمـا آلـت إليـه أحوالهـا مـن العسـف والظلـم، داعيًـا أبناءهـا إلـى أنْ يتحملـوا مسؤولياتهم تجاه استعادة الدور التاريخي لمكة المكرمة، يقول حمزة شحاتة:

ومـــا فُجِعَـــتْ بالعســـفِ والجهـــلِ أمـــةٌ كمـــا فُجعـــتْ أمُّ القـــرى، فـــي مِهادهـــا

وظلـــتْ علـــى قيـــدِ المذلـــةِ، مكـــةُ تغالـــبُ ديجـــورَ الأَســـى، فـــي انفرادِهـــا

أبـــا حســـنٍ، إن العواصـــمَ حولَنـــا أجـــــدَّ، ســـــعي جِيادهـــــا

فـنحنُ، علـى مـا شـئتَ، جُنـدًا وقائـدًا فمكـةُ لـم تخلـعْ ثيـابَ حِـدادها[2]

إنَّ مكـة بكـل عناصـرها حاضـرة فـي الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة فيمـتص تاريخيـة جبالهـا ودورهـا التـاريخي والـديني؛ لتسـتعيد هـذه العناصـر حـراء وثبيـر أدوارهـا مـن الماضـي فتهدم كيانات الظلم والعدوان، يقول حمزة شحاتة:

وسنمليهِ على التاريخْ

في ظلِ حراءٍ.. وثبيرْ

ثورة تجرفُ في تيارِها

هذا الكيانَ المتدَاعي[3]

كمـا يلجـأ الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة إلـى الشخصـيات التاريخيـة التـي انعقـدت بهـا صـلات العـرب، فاجتمعـت كلمـتهم بعـد فرقـة وضـعف لاسـتعادة مقدسـاتهم وحمـزة شـحاتة

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة،ص ٥٣٢ .

(٢)المرجع السابق، ص ٨٥ .

(٣)المرجع السابق ،ص ١٢٩ ،١٣٠

بهذا الامتصاص للأدوار التاريخية للشخصيات يهدف إلى أن يستعيد العرب لحمتهم ووحدتهم، ويحرروا مقدساتهم، كما في استدعاء شحاتة للدور التاريخي لقصي بن كلاب[1]، في قوله:

إنها صوتُ قُصيٍّ وإياذْ

إنها صوتُ البطولاتِ الفتيَّة

من ظلام الوثنية

وصميمِ الجاهلية[2].

-التناص الامتصاصي مع الموروث الأدبي:

من نماذج امتصاص النص الشعري لحمزة شحاتة للموروث الأدبي اقتفاؤه معاني وأثر التراث الشعري، فتتسلل روائع معانيه في ثنايا النص الشعري، ومن نماذج تلك الروائع قول الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد:

لا تسقني ماءَ الحياة بذلةٍ بل فاسقني بالعزَّ كأس الحنظل[3]

يتشرب النص الشعري لحمزة شحاتة معنى البيت، من قيم الإباء والرجولة التي ترفض أن تكون الذلة في الحياة وسيلة العيش، غير أَنَّ حمزة يمتص المعنى، ويعيد ترتيب وتركيب بنية عباراته الشعرية، فيحولها من صيغة النهي إلى صيغة الأمر،في سياق بكائه على الرجولة التي افتقدها البعض بعد روضوا نفوسهم على الذلة في طلب العيش.

يقول حمزة شحاتة :

وابْكِ الرجولةَ في بدوٍ وحاضرةٍ رِيضَتْ بِرزقٍ على الإذلالِ مقسومِ[4]

وكما سبق وأشرنافي مبحث الاجترار إلى تعمد حمزة شحاتة اجترار النص الشعري للشاعر الجاهلي السموأل بن عادياء، في قصيدته"مستوى المعيشة والأخلاق في عهد

---

(١)كان قصي في قومه سيدًا رئيسًا مطاعًا معظمًا، جمع قريشا من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب، واستعان بمن أطاعه من أحياء العرب على حرب خزاعة وإجلائهم عن البيت الحرام، وتسليمه إلى قصي، فكان بينهم قتال كثيرة ودماء غزيرة، ثم تداعوا إلى التحكيم، فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فحكم بأن قصيًا أولى بالبيت من خزاعة، وإن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع بشدخه تحت قدميه، وأن ما أصابته خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة، وأن يخلى بين قصي وبين مكة والكعبة، فسمي يعمر يومئذ الشداخ، ينظر البداية والنهاية، للحافظ بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت١٤١٠هـ ١٩٩٠م، الجزء الثاني، ص ٢٠٧ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١١٠ .

(٣)ديوان عنترة بن شداد، قدمه وهمشه وراجعه مجيد طراد، ص ١٣٥ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٣٩ .

السموأل"، نلحظ أَنَّهُ قد يكون التناص بامتصاص معاني السموأل في غير صالح حمزة شحاتة؛ يقول حمزة شحاتة:

تقول التي غازلتُها:أنت أزعرٌ وَنَخْلُك بينَ الملاقِيش فَسِيلُ[1]

بينما يقول السموأل:

تُعَيِّرُنا أَنَّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ[2]

ونلحظ أَنَّ السموأل تفوق على حمزة شحاتة، بما اشتمل عليه بيته الشعري من الاعتزاز بالنفس باللفظ(أنَّا)، وحُسْن الرد على المرأة التي تُعيره بقلة عدد قبيلته؛ حيث أوجز في الرد بحكمة مفادها أَنَّ الكرام بين الناس قليل، وبذلك يبدو حمزة شحاتة وقد امتص نصه الشعري فكرة تعيير المرأة، دونما أي رد فعل منه من اعتزاز بالنفس أو حُسن الرد كما فعل السموأل .

لعل من أجمل أبيات المديح قول النابغة الذبياني:

فإنكَ شمسٌ، والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ[3]

وحمزة شحاتة يمتص الفكرة، ويعمل على تطويرها في سياق مدحه للملك فيصل رحمه الله في قوله:

همْ النجومُ الباهراتُ السنى وأنتَ منها بدرُها المشرق[4]

ونلحظ أنَّ حمزة شحاتة استبدل بالشمس البدر، وبالكواكب النجوم، فلطالما اقترن البدر في الذهنية العربية بمعاني الجمال، فعمد النابغة إلى تشبيه الملوك حول ممدوحه بالكواكب المعتمة، فالخاصية النورانية حصريًا لممدوحه، بينما حمزة شحاتة قصد إلى مدح الاثنين معًا، الشباب المشمر لبناء وطنه بالنجوم باهرات السنى، والملك بالبدر الذي يشق بهم ظُلمة الليل .

كما يمتص النص الشعري لحمزة شحاتة ما اعتاد عليه الشعراء الجاهليون من تقديم قصائدهم "إما بالمقدمة الطللية وإما بالمقدمة الغزلية،وإما بمقدمة الشباب

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٥٠ .

(٢)ديوان السموأل،تحقيق وشرح واضح عبد الصمد، ص ٦٧ .

(٣)ديوان النابغة الذبياني،تحقيق شكري فيصل، ص ٧٨ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٤ .

والشيب"[1]، إلى مقدمة غزلية من نوع آخر ،حيث يتغزل في مدينة جدة ويستعيد ذكرياته الجميلة في رحابها، يستفتح شحاتة قصيدته"جدة"بقوله:

النُّهى بينَ شاطِئَيْكِ غَرِيقُ ... والهَوَى فيكِ حالمٌ، ما يُفيقُ

وَرُؤَى الحُبِّ في رِحابِك شَتَّى ... يَستَفِزُّ الأسيرَ منها الطَّليقُ

وَمَغانيكِ، في النُّفوس الصَّديَّا ... تِ إلى رَيِّها المَنِيعِ، رحيقُ[2]

يطرح حسين عطوان تفسيرًا لتشكلات المقدمات عند الشعراء الجاهليين بقوله:"إنها لا تعدو أن تكون ذكريات وضربًا من الحنين إلى الماضي والنزاع إليه؛ فإن الشعراء دائمًا يرتدون بأبصارهم وأنظارهم إلى الوراء، إلى أغلى جزءٍ مضى وانقضى من حياتهم، يوم أن كانوا في ميعة الصبا وريعان الشباب، لا همَّ لهم ولاشيء يشغلهم سوى العكوف على اللهو والمتعة، وهو جزء زاخر بالذكريات، ذكريات الحب وأيامه الخالية، تلك الأيام التي قضوها مع لداتهم من الفتيات الغريرات الفاتنات"[3] وحمزة شحاتة–شأنه شأن–الشعراء الجاهليين في الحنين إلى ذكريات حبه وأيامه الخالية إلا أنَّهُ يمتص فكرة الوقوف على الأطلال من الجاهليين، فيقف بجدة على حداثتها ويمتص فكرة التغزل بالمرأة؛ ليعمد إلى تطويرها بالتغزل في جدة، حيث عشق جدة يمثل العنصر الرئيس والقضية المركزية، التي تدور في فلكها العناصر الأخرى من استدعاء ذكريات الهوى في مغانيها والتغني بمحاسنها .

–التناص الامتصاصي مع الأجناس الشعبية:

من نماذج التناص بامتصاص معاني المثل الشعبي قول حمزة شحاتة:

ذهبَ التاريخُ لا يعقل أو يَحْفَل

معناها المثيرْ..

ومضَى الناسُ.. سُدىً.. لا يحفلونْ[4]

تناصًا بامتصاص معاني فقد الإحساس واللامبالاة مع المثل القائل:"قد أَسمعتَ لو ناديتَ حيًّا"[5] .

---

(١)مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، ص١١٤ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٣٩ .

(٣)مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، ص ٢٢٧ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٠٨ .

(٥)معجم الأمثال العربية، محمودإسماعيل صيني، ناصف محمد عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، ص ٧ .

ومن نماذج التناص بامتصاص معاني الأسطورة العربية قول حمزة شحاتة:

ومضَى المارِدُ بالقصة

لا يلوي عليها

فهو أيانَ مضَى في الأرضِ

منها وإليها..

الميادينُ مجالاتُ هواهُ الوارفة

وهو حُرٌّ مثلما كانَ، يخوضُ العاصفةْ

وكريمٌ مثلما عاشَ، وأوفَى عارفه[1]

يمتص النص الشعري أسطورة المارد؛ ليخلع صفات المارد على الإنسان العربي فهو مارد بخصاله الكريمة من الشجاعة والإباء والاعتزاز بالنفس .

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٢٠.

المبحث الثالث: التناص التجاوزي

عرَّف جينيت في كتابه استراتيجية الشكل التناص التجاوزي بالخرق، أي "التجاوز على معنى ما والتضاد والتناقض معه"[١]، والتجاوز أو الخرق يعتمد على حوارية النص، "فالحوار تغيير للنص الغائب وقلبه وتحويله بقصد قناعة راسخة في عدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي قد يغلف الأشكال والثيمات والكتابة في الجديد وتناسي الاعتبارات الدينية والعرفية والأخلاقية والخوض في المسكوت عنه لضرورة الأدب لمثل هذه الحالة الصحية في الإبداع والانفتاح نحو فضاءات نصية جديدة"[٢].

"فالحوار هو أعلى مرحلة في قراءة النص الغائب إذ يعتمد النص المؤسس على أرضية عملية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب، مهما كان شكله وحجمه، فلا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص، وإنما يغير في القديم أسسه اللاهوتية ويعري في الحديث قناعاته التبريرية والمثالية، وبذلك يكون الحوار قراءة نقدية لا علاقة لها بالنقد مفهومًا عقلانيًا خالصًا أو نزعة فوضوية عدمية"[٣] .

-التناص التجاوزي مع القرآن الكريم:

من نماذج التناص بالتجاوز على المعنى لغرض السخرية اقتفاء الأثر القرآني في لفظة(ذبابة)، فهو يتمثلها، ويجعلها مثلًا لتصغير وتحقير خصمه،في معنى مغاير للمعنى القرآني التعجيزي، في عجز الكافرين وآلهتهم عن خلق ذبابة، يقول حمزة شحاتة:

وما هو عند البأس إلا ذُبابةٌ ولو جَهَدت -ليست بِذاتِ غَناءِ[٤]

تناصًا مع قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴿٧٣﴾ سورة الحج ،وهذا المستوى من التجاوز أو الخرق أو الحوارية أو القلب أو العكس مهما تعددت مصطلحاته"هو الصيغة الأكثر شيوعًافي التناص، خصوصًا في المحاكاة الساخرة، لما فيه من عمل للتضاد يذهب بعكس الخطابات، الأصلي

(١)ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب،محمد بنيس، ص٢٥٣ .

(٢)التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم، ص ٥٦.

(٣)ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس، ص٢٥٣ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٣٤ .

المستدخل في علاقة تناصية، وهو بدوره يتضمن صنوفًا عديدة، منها(قلب موقف العبارة أو أطرافها، أو قلب القيمة، أو قلب الوضع الدرامي، أو قلب القيم الرمزية)"[1] .

ومن نماذج التناص بالتجاوز على معنى والتضاد معه قول حمزة شحاتة:

أتاكَ، غيرَ بعيدٍ، صوتُ ثائرها مَوْجًا من البَأسِ، لا يُبقِي على نُوحِ[2]

الثابت والمعلوم أنَّ نوح عليه السلام نجا وقومه في محنة الطوفان، إلا أَنَّ حمزة شحاتة يستدعي الدلالة الرمزية لنوح عليه السلام كرمز لكل شخصية صالحة ويستبدل بأمواج الطوفان المغرقة أمواج البأس والشدة، فلا نجاة لأحد منها،تناصًا بالتجاوز بقلب القيم الرمزية في قوله تعالى:"وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٤﴾ سورة هود

كما قد يعمد النص الشعري إلى إرسال رسائل تفسيرية إلى المتلقي، يلمس المتلقي من خلالها مدى تشرب النص الشعري لمعنى الآيات،بإعادة طرح معانيها في صيغ تفسيرية لا تتجاوز المعنى، غير أنها تعمد إلى تجاوز بنية العبارة، كما في قوله:

آليتُ ألَّا أَراك إلا بَصَقْتُ فِي وَجْهِك الْحريبْ

زُلْفَى إلى الله لا تُكافى إلا بِغُفْرَانِه القريبْ[3]

والمعنى مأخوذ من معاني التوحيد، والزلفى والتقرب في النص الشعري لحمزة شحاتة خالصة لله عز وجل، غير أنَّ الزلفى في النص القرآني كانت ادعاء المشركين أنهم يتخذون أولياء من دون الله زلفى لله، تناصًا مع قوله تعالى:"أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴿٣﴾ سورة الزمر

كما يلجأ حمزة شحاتة إلى حوارية النص؛ ليقفز بالمعنى كما في استدعائه لقصة رؤيا يوسف عليه السلام التي وردت في قوله تعالى:"وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴿٤٣﴾ سورة يوسف، والشاهد هنا أن البقرات كما ورد في تأويل

(١)أدونيس منتحلًا، دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، كاظم جهاد، مكتبة الفجر الجديد، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية١٩٩٩م، ص ٥٥، ٥٦، ٥٧ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص٤٥٠ .

(٣)المرجع السابق، ص ١٩١ .

الرؤيا لم تكن هي العجاف، بل السنين التي ستمر بمصر وأهلها هي العجاف، فعمد النص الشعري لحمزة شحاتة إلى تجاوز واختزال القصة والدخول مباشرة إلى المعنى الذي يريده وهو السنوات العجاف، يقول حمزة شحاتة:

يا للعقول من السنين تساوقت سودًا مثقلة الظهور عجافا [1]

إنَّ المحال لا يعيش ولا يتحقق، لا لشيء إلا لكونه محالًا، لكن النص الشعري لحمزة شحاتة يسوق فكرة تحقق المحال وعيشه–تجاوزًا على استحالة تحقق ذلك المحال، بقلب قيمته الرمزية–في سياق استبعاد وتجاوز فكرة أن يعود ميت إلى الحياة حتى لو تحقق المحال ورأيناه بأعيينا قبل أن يرحل، يقول شحاتة:

عاش المُحالُ مرَّةً.. ومات

ولن يَعود ميِّتٌ إلى الحياة[2]

والبيت الأول يمثل تجاوزًا على معنوية المحال، بينما البيت الثاني يأتي اجترارًا لفكرة حتمية الموت تناصًا مع قوله تعالى:"وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴿٩٥﴾ سورة الأنبياء، وبذلك تتجلى المهارة الشعرية لحمزة شحاتة في خفة وحسن التنقل بين مستويات التناص.

كما يتجاوز النص الشعري لحمزة شحاتة باللفظة(مزدجر)، ومعنى الشيب كما ورد في القرآن الكريم، وكونه النذير الذي يُنبه الإنسان أن رحلته في الحياة قد آذنت بالرحيل والانتهاء، غير أَنَّ شحاتة يذهب بالمعنى بعيدًا عن معناه الأصلي، فالأصل أن يزدجر الإنسان عندما يعلو الشيب رأسه، لكن هذا المزدجَر والردع لم يتحقق–بعد–فما زالت نفسه ترجو من الهوى ما كانت ترجوه في شبابه، يقول حمزة شحاتة :

بلغتُ بالشَّيبِ غَايَةَ العُمْرِ ولستُ فيما أرى بِمُزدَجِرِ

ما زلتُ أرجو مِن الهَوى، حَرَضًا ما كنتُ أرجو مِنه، عَلى صِغَري

يا فِطرةَ السَّوْءِ كم يُغالِبُني مِنكِ قَوِيُّ الجِماح ذُو أشَرِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص٢٥٥ .

(٢)المرجع السابق، ص ٣٩٦ .

كَفَــى نــذيرًا بالشَّــيبِ لَــوْ عَقَــلَ الــ ـــعَاصِي، وَفِــي الشَّــيبِ أبلَــغُ النُّــذُرِ[1]

تناصًا مع اللفظ القرآني (مزدجر) في قوله تعالى : "وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴿٤﴾حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴿٥﴾ سورة القمر، وتناصًا مع معنى الشيب في قوله تعالى:" أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴿٣٧﴾ سورة فاطر

ويتجاوز النص الشعري لحمزة شحاتة بمعنى سوْق الكافرين إلى جهنم زمرًا، كما في قوله :

زُمــــرةٌ أنتُمُــــو، ومُصــــلِيكُمُو النَّــــا رَ وَحيــــدٌ فــــي هَدمــــه وبنائِــــه[2]

تناصًا في المعنى مع قوله تعالى:" وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴿٧١﴾ سورة الزمر ،وهذا التناص هو ما يتبادر إلى الذهن، إلا أَنَّ التناص يتجاوز المعنى القرآني من سوق الملائكة للكافرين إلى جهنم زمرًا، إلى معنى آخر، فحمزة شحاتة هو الذي سيصلي أعداءه النار ويسوقهم إليها، فهم الزمرة وهو الذي سيصليهم النار .

-التناص التجاوزي مع الحديث النبوي الشريف:

من نماذج التناص بالتجاوز مع الحديث النبوي الشريف قول حمزة شحاتة:

فأنــــا حِصــــنُها الحَصــــينُ ومُرتَــــا دُ هَواهــــا، وسَــــيفُها المَســــلُولُ[3]

وفي البيت السابق يعمد حمزة شحاتة إلى تجاوز القيمة الرمزية لمعنى سيف الله المسلول، ليجعلها سمة كل إنسان عربي مسلم يدافع عن أرضه ومقدساته، والبيت الشعري لا يتجاوز بالقيمة المعنوية للفظة سيف الله فحسب، بل يتجاوز بالزمن والتاريخ استثارة لحمية العربي المعاصر، لعله يقتدي بخالد بن الوليد في شجاعته التي تحصنت بها الأمة يومًا ما ولُقب سيف الله ،كما ورد في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" نِعْمَ عَبْدُ اللهِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٣٤ .

(٢)المرجع السابق، ص ٥٣١ .

(٣)المرجع السابق ، ص ٣٤٥.

وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ"[1].

كما يعمد النص الشعري لحمزة شحاتة إلى التجاوز بنصه الشعري في القيم الرمزية المكانية، في تنقل رائع بين مستويات التناص الشعري بين الامتصاص والتجاوز ومن نماذج ذلك امتصاص معاني الجمال والرقة فيما ورد عن الحور العين في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ منها أنه"يُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ"[2]، يمتص النص الشعري معاني الجمال والسمو ويتجاوز بها مكانية الحدث في الجنان؛ ليخلعه على مكانية دنيوية في سياق وصفه للفتيات الصغيرات ،وهن يفضن بالحب والحنان على أبيهن، يقول حمزة شحاتة:

وفِضْنَ بالحبِّ والحَنانِ وَارْفُلْنَ كالحُورِ في الجِنانِ[3]

-التناص التجاوزي مع التاريخ:

يتجاوز حمزة شحاتة بنصه الشعري أحداث التاريخ، فيتحرر نصه زمنيًا من زمانية الحدث التاريخي، لتصبح قيم التاريخ الزمنية الرمزية مقلوبة، فيتحرر الحدث التاريخي من تاريخيته ليصبح حدثًا معاصرًا، ومن نماذج ذلك تجاوزه بمعركة الخندق من زمانيتها في عصر صدر الإسلام، لتصبح معركته الحالية والمعاصرة، يشاركه فيها معاصروه من حراس الحرية، يقول شحاتة:

حرسُ الحريَّة.. مَنْ خاضوها..

بالسَّمعِ.. وخاضوها بالطَّاعة..

معركةِ الحرِّية..

معركةِ شبابي.. وحياتي..

معركةِ المأوى واللُّقمة..

(١)فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الجزء الأول، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، رقم الحديث ١٤٨٠، ص ٨١٦ .

(٢)صحيح سنن الترمذي،محمد بن عيسى بن سورة الترمذي،محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف،الرياض،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، رقم الحديث ١٦٦٣، ص ٢٩٢، ٢٩٣ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٣٧٥ .

والخندقِ والظُّلمة..

ونشيدُ المَيدان..

معركةُ الألوان[1]

-التناص التجاوزي مع الموروث الأدبي:

من نماذج التناص-بتجاوز المعنى، رغم وحدة اللفظ-قول حمزة شحاتة:

أم ذاك شـــــأنُ الغِيـــــدِ يُبْـــــدِينَ الجَّفـــــا

وفـــــؤادهُنَّ مـــــن الصـــــبابةِ دامِـــــي

يـــــا قلـــــبُ ويْحَـــــك إنَّ مـــــن عُلِّقْتَهـــــا

رأتِ الوفَـــــا فـــــي الحُـــــبِّ غيـــــرَ لِـــــزامِ[2]

تناصًا باللفظ ومعنى الفؤاد الدامي مع الشاعر حافظ إبراهيم في قوله :

كَـــمْ تَحـــتَ أَذيـــالِ الظَـــلامِ مُتَـــيَّمُ دامـــي الفُـــؤادِ وَلَيلُـــهُ لا يَعلَـــمُ

مـــا أَنـــتَ فـــي دُنيـــاكَ أَوَّلُ عاشِـــقٍ راميـــهِ لا يَحنـــو وَلا يَتَـــرَحَّمُ[3]

في بيتي حمزة شحاتة فؤاد حبيبة الشاعر هو الفؤاد الدامي، رغم إظهارها الجفاء بينما يُناقض نفسه في البيت الثاني في اتهام حبيبته بعدم الوفاء، فكيف يُدْمي قلبها من الصبابة في البيت الأول، ثم يتهمها بعدم الوفاء في البيت الثاني،وشحاتة بهذا المعنى يتجاوز بيتي الشاعر حافظ إبراهيم حيث يبدو فؤاد الشاعر هو الفؤاد الدامي، بينما يكتفي الشاعر حافظ إبراهيم باتهام حبيبته بعدم الحنو أو الرحمة به .

تُمثل الناقة للجاهلي زاده وترحاله ومؤنسه وسفره، شريكة صفائه وحزنه، فهي الحياة والحياة هي، كما في قول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

وإنِّـي لأمضـي الهـمَّ، عنـد احتِضـاره، بعوجـاء مرقـالٍ تـروحُ وتغتـدي

أمـــونٍ كـــألواح الإرانِ نصَـــأْتُها عَلـــى لاحِـــبٍ كَأَنَّـــهُ ظَهـــرُ بُرجُـــدِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٦٠١ .

(٢)المرجع السابق ،ص ٦٣ .

(٣)ديوان حافظ إبراهيم،ضبط وتصحيح أحمد أمين بك، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، ص ٢٧٦ .

جَماليِّـــة وجْنـــاءَ تَـــردي كأنَّهـــا سَـــفَنَّجَةٌ تَبـــري لأزعَـــرَ أربَـــدِ[1]

إلا أنَّ حمـزة شـحاتة يتجـاوز القـيم الجماليـة فـي ناقـة الجـاهلي؛ ليقلـب قيمتهـا الرمزيـة التـي تغـزل فيهـا الجـاهلي إلـى سـياقات أخـرى أقـرب للهجـاء، فيشـبه المـرأة اللعـوب الرخيصة بالناقة التي تُباع وتُشْترى.

يقول حمزة شحاتة:

وقَـدْ كُنْـتِ فـي سـوقِ الأنوقـة سـلعةً أُنيطـت بِشـاريها علـى غيـرِ مرغـب
تعثـر مزجيهـا بهـا بـينَ ناضـبٍ تثاقلهـا، أو قـادرٍ متجنِّـب[2]

وحمـزة شـحاتة يتجـاوز بـاللفظ غـيلم وغيـالم معنـاه فـي السـياق الشـعري للشـاعر العباسي ابن الرومي، يقول حمزة شحاتة:

وقيـل: سـباقٌ فـانْبرى كـلُّ غـيلمٍ تسـاندُه، أشـباهُه ونظـائرهُ
فأكـدي كمـا سـارَ الغيـالم قبلَـه شـريعة نقضـها، خَلَّفَتْهـا مناشـرُه
ولمـا توافيْنـا، سـبْقنا، ولـم نفـزْ وأحـبط مَسْـعانا مِـن الحُكـم غـادره[3]

تناصًا مع قول الشاعر ابن الرومي :

ذؤُو الأوجُـه البـيضِ الفـداعم زُيِّنـت وزيـدتْ كمـالًا بـالرؤوس الغيـالم
رؤوس مـرائيسٌ قـديمًا تعمَّمـتْ لعمْـرُكَ بالتيجـانِ لا بالعمـائم[4]

للسـياقات الشـعرية المختلفـة كلمتهـا فـي تحديـد مسـتويات التنـاص، فغيـالم حمـزة شـحاتة لهـا أدوارٌ وظيفيـة أخـرى غيـر الأداءات الوظيفيـة لغيـالم ابـن الرومـي التـي سـاقها فـي سـياق مـدح الشـباب الأمـراء الغيـالم ذوي الأيـدي الناعمـة، أصـحاب النعمـة وأربـاب القصـور الـذين تعتمـر رؤوسـهم بالتيجـان لا بالعمـائم، بينمـا غيـالم شـحاتة تتجـاوز هـؤلاء الغيـالم المنعمـين المتـرفين إلـى غيـالم شـباب شـمروا للجـد والاجتهـاد؛ ليتنافسـوا فـي ميـادين السـبق والشرف، إنهم الغيالم أرباب الأيدي الخشنة.

(١)ديوان طرفة بن العبد، شرحه مهدي محمد ناصر الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٦٩ .

(٣)المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٤)ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، ص ٢٦٥ .

كما يتجاوز معنوية ورود الماء الصفو النقي التي وردت في معلقة الجاهلي عمرو بن كلثوم، يقول الشاعر عمرو بن كلثوم:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِيْنَا[1]

يقول حمزة شحاتة:

ومن رامَ الكمالَ سَعى وَضَحَّى ولم يعف الموارِدَ وهي "رنق؟[2]

وفي موضع آخر يقول حمزة شحاتة:

شرِبَ النَّاسُ بالرَّذيلةِ صَفوًا وشرِبنا على الفضيلةِ رَنْقا[3]

إنَّ اختلاف السياقات الزمانية قد تُلجئ الشاعر إلى التجاوز بنصه الشعري على غير ما اعتاد عليه الإنسان العربي في الجاهلية من الأنفة والاعتزاز بالنفس، فعمرو بن كلثوم في معلقته يشحذ أبناء قبيلته همتهم وكرامتهم، فهو في مقام الاعتزاز والنصر والفخر بأبناء قبيلته الذين لا يردون من موارد الماء إلا أنقاها، بينما يجعل موارد الماء العكرة حصريًا لغيره من الناس، وحمزة شحاتة يسير على دربه لفظيًا بينما يتجاوز بالمعنى إلى المعنى المضاد، فقد أصبحت الموارد الرنقة العكرة لأصحاب الفضيلة ممن يرومون الكمال، بينما يرد الناس موارد الرذيلة، التي وصفها بالصفو .

إنَّ القيم المتعارف عليها قد تبدلت، فبعد أَنْ كان الصبر والجَلَد من قِيم ميادين الكرامة، تبدلت الأحوال وصار الصبر معولًا للمهانة والمذلة، يقول حمزة شحاتة:

قد عزَّ بالصبر أقوامٌ وهنت به فإن تسخطت يومًا فالتي تَصِم[4]

وشحاتة بهذا المعنى يتجاوز بقلب القيم الرمزية، ويتناص باللفظ مُتجاوزًا معنى أنَّ عزة قومنا في مدى اعتزازنا واهتمامنا بلغتنا، في قول الشاعر حافظ إبراهيم:

أرى لرِجالِ الغَربِ عِزًّا ومَنعَة وكم عَزَّ أقوامٌ بعِزِّ لُغاتِ[5]

---

(١)ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٩٠ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٣٨ .

(٣)المرجع السابق، ص ٢٥٣ .

(٤)المرجع السابق، ، ص ١٨١ .

(٥)ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وتصحيح أحمد أمين بك،، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، ص ٢٤٣ .

إنَّ الربيع ضاحك، باعتبار ما تعودت عليه أسماعنا من معلمينا في ثانويات الدراسة، فلطالما كرروا على أسماعنا بيت الربيع الضاحك للبحتري؛ لنستنبط تشبيهاته واستعاراته، وغيرها من الصور البلاغية، يقول الشاعر البحتري:

أتَاكَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ يَختالُ ضَاحِكًا مِنَ الحُسنِ حتَّى كادَ أنْ يَتَكَلَّمَا[1]

إلَّا أَنَّ النص الشعري لحمزة شحاتة يأبى إلا أن يتجاوز بالمعنى، فيقلب القيمة الرمزية من الربيع الضاحك إلى الربيع الذي لم تشرق بشاشته، فقد صادفت أجواء الربيع الباسمة قلب الشاعر الحزين، يقول حمزة شحاتة:

عادَ الرَّبيعُ، فلم تُشرِق بَشاشَتُه على جوانبِ قَلبٍ غيرِ مَقروحِ[2]

-التناص التجاوزي مع الأجناس الشعبية:

من نماذج التناص بالتجاوز مع المثل الشعبي قول حمزة شحاتة:

وشاهتْ شواهينُ الحِمى وبزاته فما هي -إلَّا في البُغَاثِ- طيور[3]

تناصًا مع المثل القائل: "إنَّ البُغاث بأرضنا يستنسرُ"، ومعنى المثل إنَّ البغاث ذلك الطائر الضعيف إذا أقام في أرضنا وجاورنا صار كالنسر قوة، أي أنَّ الضعيف إذا جاورنا عزَّ بنا وأصبح قويًا"[4]،غير أَنَّ حمزة شحاتة يتجاوز بقلب القيمة الرمزية من قوة طائر البغاث فيُبْقي على خاصية ضعف صقور الحمى التي مازالت تحتفظ بصفات ضعف طائر البغاث.

-التناص التجاوزي مع الأسطورة:

ومن نماذج التناص بتجاوز معاني الأسطورة قول حمزة شحاتة:

إيزيسُ!

يا أُسطورةَ الخيال!

يا ساحرتي الجميلةْ

يا بسمةَ الرَّبيع!

يا عبيره السيَّال!

---

(١)ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ص ٢٠٩٠ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٤٩ .

(٣)المرجع السابق، ، ص ٨٨ .

(٤)معجم الأمثال العربية، محمودإسماعيل صيني، ناصف محمد عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، ص ١٢١ .

يا نَشوةَ الزُّهور

في الخميلهْ

يا حُلْميَ الكبير!

يا أُمنية الشَّباب!

يا أملَ الطفوله![1]

يستفتح حمزة شحاتة قصيدته بمناجاة إيزيس، أسطورة الفراعين القدماء التي ترمز للعطاء والدفء والإخلاص، غير أَنَّ حمزة شحاتة يتجاوز رمزيتها الزمنية، فيحرر إيزيس زمنيًا؛ ليجعل منها فتاة الأحلام التي يصبو إليها الشباب، وأمل طفولتهم .

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٠٥ .

الفصل الثاني

تقنيات التناص وآلياته في شعر حمزة شحاتة:

المبحث الأول : توافر البنية الحداثية في البنية الشعرية .

المبحث الثاني : استيحاء الشخصية التراثية .

المبحث الثالث : إعادة البنية الزماكانية.

المبحث الرابع : تحويل الدلالة التراثية إلى الدلالة المتجددة .

المبحث الأول:توافر البنية الحداثية في البنية الشعرية .

تتعرض الدراسة لمدى توافر البنية الحدثية في البنية الشعرية للنص الشعري لحمزة شحاتة، دون الخوض في تاريخية الحداثة، أو إشكالية مصطلحها أو ما بعدها ومن ثَمَّ فمِنْ أقرب مفاهيم الحداثة"أَنْ يكون الشاعر نفسه،أيْ أَنْ يُجسد في عمله شخصيته وثقافته، مكانًا وزمانًا، حُرًا غير مرتَهن للماضي ولا للآخر، وأَنْ يسعى إلى أَنْ يُطوِّرَ التجربة الشعرية، بوصفها تجربة إنسانية، ذات وظيفة بنائية مستمرة"[١]،والحداثة في الشعر تشمل كل التحولات الكبرى الطارئة على الشعر بـ"المعنى الفلسفي والمفهومي،ثم وبالأخص المعنى التطبيقي والإجرائي، فهي تعني في الشعر الحديث التغير الفعلي الحاسم بين ما هو قديم وما هو حديث، ونعني بالقديم كل ما سبق عصر النهضة إلى حدود العصر الجاهلي"[٢]،وتجربة الحداثة تعني"إعادة بناء نص شعري، يندمج في حداثة كونية ولا يكف في الوقت ذاته عن ترتيب أشجار النسب، ورجَ الحدود من غير أن يتخلى عن ماء شهوة اللغة، وشبق الإيقاع العضوي"[٣].

والحداثة وفقًا لبعض المفاهيم قد تعني في ظاهرها القطيعة مع القديم، فقد طال التغيير"مفهوم الشعر وبناه ومضامينه ووظائفه ومقاصده ورؤاه وأساليبه وأدواته الفنية والجمالية، غير أَنَّ البعض الآخر دان بفكرة التواصل بين القديم والحديث، وانتصر إلى فكرة إعادة البناء وإعادة التشكل للقديم، وفق ما لا يُحْصى من العلاقات الجدلية الوثيقة التي لم تلغ القديم، وإنْ تصرفت فيه وأعادت صياغته"[٤] .

وقد لخص أدونيس "القيم الشعرية القديمة التي تحولت أو تغيرت،والتي تجاوزها الشعر العربي الجديد، أو يتجاوزها بما يلي:

-الحكمة: استبدلها الشاعر الجديد بالتساؤل؛ لأنه يستبدل المعطى بالبحث.

---

(١)حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، عبد الله بن أحمد الفيفي، النادي الأدبي بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص ١٢

(٢)حداثة الشعر العربي، شعرية الحداثة، منصور قيسومة، الدار التونسية للكتاب، الطبعة الأولى٢٠١٢ م، ص ٦ .

(٣)حداثة السؤال، بخصوص الحداثة العربية في الشعر والثقافة،محمد بنيس، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٨،ص ٧٦ .

(٤)حداثة الشعر العربي، شعرية الحداثة، منصور قيسومة، ص ٧ .

-أخلاقية الحكمة: استبدلها الشاعر الجديد بأخلاقية التساؤل والبحث(القلق، الخوف، اليأس، الرجاء، الأمل، التمرد...) .

-الآخرة ،الزهد بالدنيا: استبدلها الشعر الجديد بالتمسك بالدنيا، حتى ليمكن وصفه أَنَّهُ شعر الأرض، إنه يحاول أَنْ يكون شعر الإنسان وقضايا الإنسان على الأرض في المقام الأول.

-النموذج: أي أَنَّ الشاعر القديم يعود إلى النموذج ليتشبه به،بينما الشاعر العربي الجديد يرفض النموذج .

-الشكل الثابت: للشعر العربي القديم شكل بنائيٌ ثابت، الشاعر العربي الجديد يتجه نحو الشكل المتحرك، قد يصبح لكل قصيدة جديدة شكلها الخاص، دون أن تتحدد بوزن أو نثر .

-الزمن: الزمن في الشعر القديم هو حركة ابتعاد مستمر عن الأصل الماضي، بينما دور الشاعر العربي الجديد أنْ يملأ الحاضر والمستقبل بما يرتفع بهما إلى مستوى الماضي.

-الغنائية: في الشعر العربي القديم كانت على مستوى الشعور الفردي، بينما الغنائية في الشعر العربي الجديد على مستوى التجربة الكلية، والإنسان والكون، إنها تتجه إلى غنائية كونية .

-معنى الشعر: الشعر العربي القديم غناء أو تأمل ضمن إطارٍ جزئيٍ من الحياة والعالم بينما الشعر العربي الجديد يحاول أنْ يكون تجربة شاملة، أَنْ يكون موقفًا من الإنسان والحياة والعالم"[1] .

وإذا طبقنا التصور الأدونيسي للحداثة على النص الشعري لحمزة شحاتة نجدهإلى جانب أصالته نصًا شعريًا حداثيًا، وانطلاقًا من جدلية مفهوم الحداثة وهل تعني بالضرورة القطيعة مع الماضي، أو تعني التواصل معه.

(١)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد، دار العودة بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩، ص ١٢٨،١٢٩ ، ١٣٠

تعمد الدراسة إلى درس النص الشعري لحمزة شحاتة لمعرفة مدى توافر البنية الحداثية في البنية الشعرية للنص الشعري لحمزة شحاتة، في حداثية اللغة الشعرية.

حداثية اللغة الشعرية :

تحقق اللغة للإنسان وظائف نفعية، من خلالها يستطيع التواصل مع الآخرين في سبيل تحقيق مآربه المعيشية، ومن خلالها تواصل مع ذاته ومع الوجود من حوله، وكما أَنَّ للغة دورًا وظيفيًا، فإنَّ لها أدوارًا إبداعية، "وقد عرَف الإنسان العالم، أو حاول أَنْ يعرفه لأول مرة، يوم أن عرف اللغة، وهو لم يعرف السحر إلا يوم أدرك قوة الكلمة، ولم يعرف الشعر إلَّا يوم أدرك قوة السحر"(١)، "واللغة الشعرية ...وسيلة استبطان واكتشاف، ومن غاياتها الأولى أن تُثير وتُحرك، وتهز الأعماق وتفتح أبواب الاستباق... والكلمة فيها أكثر من حروفها وموسيقاها، لها وراء حروفها ومقاطعها دم خاص ودورة حياتية خاصة فهي كيان يكمن في جوهره في دمه لا في جلده، وطبيعي أنْ تكون اللغة هنا إيحاءً لا إيضاحًا"(٢) .

واللغة تمثل لبنات الشعر وعماده التي تحمل الطاقات الإبداعية والشعورية، فهي عماد الشاعر في سبيل توصيل تجربته الشعرية إلى المتلقي، "ولغة الشعر هي الوجود الشعري الذي يتحقق في اللغة انفعالًا وصوتًا موسيقيًا وفكرًا، لغة الشعر إذن هي مكونات القصيدة الشعرية من خيال وصور موسيقية، ومواقف إنسانية بشرية"(٣)، والشاعر المعاصر يعمد إلى أَنْ يُحْدث بلغته نوعًا من التمايز عن لغة الشعر القديم، "ولغة عصرنا تختلف بكل تأكيد عن لغتنا في أي عصر مضى، وهي لا تختلف عنها من حيث هي لغة مجردة وإنما تختلف من حيث علاقتها بظروفنا المعاشية الراهنة، بأفكارنا وتصوراتنا وآرائنا بمشكلاتنا وقضايانا... وكل هذا من شأنه أن يشكل اللغة تشكيلًا جديدًا يتناسب وواقع هذه الحياة، حتى يكون للشعر دور فعال في نفوس متلقيه"(٤) .

(١)الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة ،ص ١٧٣ .

(٢)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد، ص ٧٩ .

(٣)لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعارف، الطبعة الثانية،١٩٨٣، ص ١ .

(٤)الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص ١٧٥ .

لغة الأدب "وتأتي مكتظة بالدلالات،تحمل الكلمة فيها طبقات من المعنى ومن ثَمَّ تتعدد قراءات النص الأدبي وتأويلاته...إن من الملامح الفارقة الأولية في حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية تلك المحاولات لدى بعض الشعراء لافتراع جزالة لغوية حديثة تحتفظ بنكهتها التراثية ضمن مغامراتها التجديدية، بحيث تقوم المعادلة في تلك النصوص على المآزرة بين أنفاس الأصالة العربية لغةً وبيانًا وحداثة المفردة الشعرية وانزياح التركيب"[1].

والنص الشعري لحمزة شحاتة يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فيعمد إلى توظيف القوالب واللبنات اللغوية المستمدة من التراث؛ ليخلع عليها دلالات عصرية حديثة، ومن ذلك قوله:

كنتُنَّ أنباضَ الحياةِ ... تشيعُ في هذا المَوات
كنتُنَّ فاغمةَ العبيـ ... ـرِ جرتْ نشيدًا في لهاتي
كنتُنَّ إرهاصَ الهوى ... بالصاعداتِ الناهِضات
كنتُنَ عهدَ الناذرينَ ... دماءَهم والنـاذِرات
كنتُنَّ أجنحةَ الكفاحِ ... فَطِرْنَ فيه مُحَلِّقات
كنتُنَّ بسمتَه المطيـ ... ـفة بالجراحِ المُضْرَمات
كنتُنَّ بلسمَه المُهَدْ ... هد للمواجعِ.. والشُّكَاة
لَكَأنَنِّي بالفجرِ ضوء ... وجوهكنَّ الضَّاحيات
وكأنني بالنصرِ وعـ ... ـد عيونكنَّ الوامِضات[2]

في النص الشعري يتكئ حمزة شحاتة على تراثية الصورة الشعرية؛ ليستدعي الصورة التراثية السائدة في الأذهان عن الفتيات المسلمات وأدوارهن في الحياة منذ فجر الإسلام فالماضي زمن بينما الصورة واللغة لا تتوقفان عند حدود زمن بعينه، بل تتجاوزان الزمنية لتلاحقا الحدث حيثما كان والصورة يستدعيها شحاتة للفتيات المسلمات؛ ليجعل

(١)حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، عبد الله بن أحمد الفيفي، ص ٢٥ ،٢٦ ،٢٧ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٨٣ .

من الفتيات المسلمات منذفجر الإسلام القدوة والمثل للفتيات المسلمات في عصرنا الحالي، معددًا أدوارهن وصورهن التي هي:(أنباض الحياة،العبير،إرهاص الهوى،أجنحة الكفاح وبسمته،البلسم للمواجع والجراح،وجوههن كضوء الفجر،عيونهن الوامضات تعد المجاهدين بالنصر)، كما يعقد حمزة شحاتة ثُنائيات بارعة بين اليأس والرجاء والحزن والاستبشار، يدعم ذلك الاتجاه توظيفه للفعل الماضي(كنتُنَّ)، ومفردات تدل على الحزن، مثل:(المَوات،دماءَهم،الجراحِ،المُضْرَمات،المواجعِ)، وعلى الجانب الآخر ألفاظٌ تدل على الاستبشار، مثل:(أنباضَ الحياةِ،العبيرِ،الهوى،بسمتَه،بلسمَه،الفجرِ،ضوء-النصرِ)،والنص الشعري بهذه الثنائيات يطرح مفهومًا جديدًا لمعنى الحزن، فمن رحم الأحزان والآلام يولد الأمل في أنْ تستعيد المرأة العربية مكانتها في بناء المجتمع وحمزة شحاتة بهذا المعنى يتفاعل مع نغمة الحزن في الشعر المعاصر التي"استفاضت حتى صارت ظاهرة تلفت النظر، بل يمكن أَنْ يُقال إِنَّ الحزن قد صار محورًا أساسيًا في معظم ما يكتب الشعراء المعاصرون من قصائد"[1] .

وفي قول حمزة:

الليلُ قائدٌ جسورْ

وحاكمٌ يقضِي ولا يجورْ

لكنه لا يغفرُ الخطايا

للكافرينَ بالقِيمْ

والوالغينَ من دمِ الثوارْ

والخانقينَ صرخةَ الشعارْ

وصانِعي القيودِ للأحرارْ

متى؟ تقولينَ متى يثورْ

سيؤذن الظلام بالنشورْ

ستملأُ السواعدُ السمرْ

(١)الشعر العربي قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص ٣٥٢ .

جوانبَ الطريقْ

ستشعلُ الأظافرُ الحمرْ

منابعَ الحريقْ..

ستختفي الأحزانُ يا ابنتي

وتشتَفي الصدورْ[1]

يتجاوز حمزة شحاتة بلغته في نصه الشعري نغمات الحزن الذي سيختفي حتمًا؛ ليمنح قارئه بصيصًا من الأمل، فاللغة الشعرية تعاصر الحدث والفكرة الحدثية التي تدور في فلك الحرية والثورة ضد الظلم ،فهذا الليل الذي يرمز للظلم والطغيان ومقاتل الثوار الأحرار لن يحول بينهم وبين النهار الذي يمثل الأمل؛ لتشتفي صدورهم بالحرية والعدالة.

والنص الشعري لحمزة شحاتة يلجأ إلى تقنية طرح التساؤل بديلًا عن خطابية إلقاء الحكمة في الشعر القديم، كما في قوله:

أينَ ليلي يا ليلُ أهلًا وبيتًا ... وشعورًا مُجَنَّحًا.. وصِحابا

أينَ ليلي يا ليلُ في الشاطِئ الضائِع ... في البحرِ.. روعةً وعُبَابا

أينَ ليلي؟ أينَ الروابي المطيفاتُ ... بأحلامِها طِرابًا عِذابا

أينَ ماضِي عزمة، وانطلاقًا ... وحنِينًا إلى الهوى وارتقابا

أينَ يا ليلُ أينَ مسرحُ آمالي ... وأضواؤه تَلفُّ الرِّحابا

أين ليلي، يا ليلُ، أينَ زماني ... أينَ عُمري تَحَدُّرًا وانْصِبَابا[2]

ونلحظ في أبياته لجوئه إلى التساؤل في إطار البحث عن الليل تارةً وفي سياق سؤال الليل نفسه عن عمره وزمانه وعن مسرح آماله التي تبددت، فالنص يحمل إشارات الحزن والقلق واليأس، كما نلمس في مفرداته اللغوية شيئًا من الغموض كما في قوله: (أينَ ليلي يا ليلُ في الشاطِئ الضائِع في البحرِ.. روعةً وعُبَابا)، فلا ندري أحمزة شحاتة باحث عن الليل؟ أم أنه يسأل الليل نفسه؟؛ ثُمَّ ما ذاك الشاطيء الضائع في البحر؟، وهذه

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٩٧، ٩٨

(٢)المرجع السابق ، ص ٦٤ .

المساحة من الغموض ناتجة عن ذاتية النص، ورغبة حمزة شحاتة أنْ يجعل لنصه الشعري فضيلة تجدد معانيه، "فالشعر نقيض الوضوح الذي يجعل من القصيدة سطحًا بلا عمق، كذلك نقيض الإبهام الذي يجعل من القصيدة كهفًا مغلقًا"[1]، كما أَنَّ الشعر "ينقل حالة شعورية، أو تجربة، ولذلك فإِنَّ أسلوبه غامض بطبيعته، والشعور هنا موقف، إلَّا أنه لا يكون منفصلًا عن الأسلوب، كما في النثر، بل متحد به، فالنثر وصفيٌ تقريريٌ، بينما غاية الشعر هي في نفسه، فمعناه يتجدد دائمًا بحسب السحر الذي فيه وبحسب قارئه"[2].

كما يلجأ النص الشعري لحمزة شحاتة إلى تكثيف لغته الشعرية، بأَنْ يمدَّها بما يحقِّق جمالياتها،"ويراد بالكثافة تحميل اللغة شحنات من الفكر والعاطفة واستخدام الصور والتدفق الشعوري"[3]، كما في قوله :

هبَّ يومًا حبيبُ هندِ القديمُ زائرًا هِندًا والفؤادُ جحيمُ
فتلقتْهُ والمحيا الوسيمُ فوقه من دم الجفونِ رسومُ
ويَداها كقطعةٍ من جليدِ
هندُ حَسْبي ما قدَّر اللهُ حَسْبي أَيَظَلُ الجَفا يُعذِّب قَلْبي
ومتَى ترحمينَ شِدَّةَ حُبي ومتى تغفرينَ يا هندُ ذنبي
بالشفيعينِ مدمعِي وسجودِي
خَلِّ هذا وإنْ تكنْ لي صاحبٌ وتذكر شيئًا يُسمَّى الواجبُ
وأمالتْ عنه الجبينَ الشاحبَ ومن الدمعِ ذائب بعد ذائب
كنضيدِ المرجانِ تلو نضيدِ[4]

ونلحظ في الأبيات تحول اللغة عن نثريتها التقريرية المعتادة إلى لغة شعرية لا تخاطب المتلقي خطابًا عقليًا مباشرًا، بل تنفذ متسللة إلى قلبه ووجدانه، فحبيب هند القديم قرر زيارتها، ربما هذا التمهيد التقريري شيءٌ لا مفر منه، إلَّا أنه خفف من تقريريته

(١)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد،ص ١٢٤ .

(٢)المرجع السابق، ص ١١٢ .

(٣)مجلة مقاليد ،مصطلح اللغة الشعرية، المفهوم والخصائص، أحمد حاجي،جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)، العدد التاسع ، ٢٠١٥ م، ص ٩٣ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٢ .

اللغوية بالفعل الماضي هبَّ الذي أعطي دلالة أنَّ صاحب هند استجمع قواه العاطفية وتوجه إلى هند، وما تلى ذلك من التعبيرات والمفردات اللغوية التي تمتاز بالتكثيف اللغوي؛ بما تحمله من دفقات عاطفية وفكرية وروعة التصوير، كما في(المحيا الوسيمُ فوقه من دم الجفونِ رسومُ،ويَداها كقطعةٍ من جليدِ،أَيَظَلُ الجَفا يُعذِّب قَلْبي،بالشفيعينِ مدمعِي وسجودِي،الدمعِ ذائب بعد ذائب كنضيدِ المرجانِ تلو نضيدِ)، كما نلحظ أنَّ النص الشعري اعتمد تقنية الإيحاء اللغوي، حيث القصيدة الجديدة "تعبير عن معاناة حياتية شخصية، وأنَّ الشعر لا يكون إلا حيث تكون المعاناة، وفي هذه المعاناة تبطل اللغة أن تكون نسقًا لفظيًا بيانيًا، وتصبح حالة إيحائية"[1]، فالمحبوبة ما زالت تحتفظ بوسامتها وجمالها، رغم جفونها الدامية من السهر، عادةً تستخدم الوسامة في وصف الرجال، إلَّا أَنَّ حمزة شحاتة أراد أن يشير إلى جدية اللقاء، فاللقاء جاء بعد مرور زمن وقد عزز هذا المعنى بألفاظه الموحية كما في(يَداها كقطعةٍ من جليدِ)، يداها كقطعة من جليد يوحي برهبة اللقاء بعد تباعد المسافة الزمانية منذ اللقاء الأخير .

إنَّ الوظيفة الشعرية للغة تتحقق بمدى قدرتها الإيحائية،"فهي تُعبِّر عن الوجدان وتسعى إلى الكشف عن معانٍ جديدةٍ، وتتحقَّق الإيحائية في الابتعاد عن الدلالات المعجمية، ذلك أنَّ لغة الشِّعر تتميَّز بالتَّداعي الوجداني، فاللغة الشِّعرية تتضمَّن معارف وجدانية وليست معارف ذهنية، وهي بهذه التَّجليات تفتح آفاقًا واسعةً وتستثمرها في صور وجدانية، إذ تمثَّل دوافع التَّداعي جانبًا مهمًّا في ارتفاع النبرات الانفعالية وما تنطوي عليه من التَّوتُّر والقلق، فالإيحاء ينقل النص من صيغة التقريرية إلى أفق الشاعرية، فيتجاوز التواصل المباشر، فينفذ إلى ذات القارئ، ويفتح مجالًا أرحب لاستنطاق الجوانب الخفية للإبداع، والأبعاد الجمالية للنتاج الأدبي، فاللغة في الشِّعر تتجانس مع مناخ القصيدة ومضمونها"[2].

(١)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد،ص ١٣٧،١٣٦ .

(٢)مصطلح اللغة الشعرية، المفهوم والخصائص، أحمد حاجي ، ص ٩٧ .

وحمـزة شـحاتة يلجـأ إلـى تقليـد لغتـه دلالات إيحائيـة جديـدة بعيـدة كـل البعـد عـن دلالاتها المعجمية، كما في قوله:

لأنني لم أعبدِ النهارَ يا ابنتي
ولم أسرْ في ركبِهِ مُصفِّقا
أرقصُ هاتِفًا.. وغيرَ مؤمنٍ
بمجدهِ.. ولا مُسبحًا بحمدِه
كالآخرينْ..
لأنني ظللتُ عابِسًا –مقطِّبَ
الجبينْ..
عندما تهلَّل الذبابُ.. وارتمى
على موائدِ النهارْ..
لأنني وقفتُ صامتًا مرتفعَ الجبينْ
مسمَّرَ العينينْ.. ناظرًا إلى الفضاء
إلى فضاءٍ.. لا يرف في فراغِه جناحْ
لأنني وقفتُ جامدًا.. كأنني تمثالْ
أو صخرةٌ تجترُ في سكونِها المريرْ
مأساةَ يومِها وأمسِها
ولا تلينْ..
لأنني لم أعبدِ النهارْ
لأنني كفرتُ بالنهارْ
ألْقَى بي النهارْ
في متاهةِ الظلامْ
حيثُ ترقدُ الجراحْ

خارجَ الزمانْ[1]

في الأبيات تتضافر التقنيات اللغوية؛ لتمنحنا نصًا حداثيًا بامتياز، حيث اللغة ينتابها الغموض والتكثيف والإيحاء، ويتجلى الغموض في قوله:(لم أعبد النهار، متاهة الظلام)؛ حيث استهل قصيدته بكراهيته النهار، ليوحي لقارئه أنَّه كائنٌ ليلي يعشق الليل إلَّا أَنَّ الليل أيضًا متاهة، فما يراه في نهاره من أفعال بني البشر، وعجزه عن التغيير جعل منه تمثالًا أو صخرةً تجتر مآسي يومها في سكون، ثُمَّ يُلقي به النهار في متاهة الليل وكأنه لا فعل له ولا قوة، كما أَنَّ المفردات اللغوية توحي بالقسوة، كما في توظيفه الفعل يُلقي كمن يُلقى به في غيابات سجون الليل، ويتجلى التكثيف في توظيفه مفردات وتعبيرات تدل على المرارة والقسوة، مثل:(عابِسًا،صامتًا،مسمَّرَ العينينْ،جامدًا،تمثالْ،صخرةٌ تجترُ في سكونِها المريرْ،مأساةَ،كفرتُ،ألْقَى بي،الجراحْ،متاهةِ الظلامْ)، وتظل هذه الحالة من الغموض والإيحائية بكراهية النهار وسوداوية الليل إلى أَنْ يرق لحال قارئه، فيكشف له بعض ما التبس عليه من الغموض والإيهام، كما في قوله:

ستختفي الأحزانُ يا ابنتي

وتشتَفي الصدورْ

وتسبَحُ الأكواخْ

في ضياءِ يومها الكبيرْ

سيشبع النساءُ والصغارْ

ويشرقُ الفجرُ الذي

يصنعُه الظلامْ[2]

في الأبيات تتجلى عصرية وحداثة النص الشعري لحمزة شحاتة، حيث الفجر هو الأمل الذي ينتظره الأحرار، كما أَنَّهُ يلجأ إلى صور شعرية حداثية مثل:(تسبَحُ الأكواخْ في ضياءِ يومها الكبيرْ)، ولا يُغفل إزالة بعض الغموض الذي انتاب نصه الشعري الحداثي

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٩٥، ٩٦ .

(٢)المرجع السابق، ص ٩٨.

فالشاعر ليس بالكائن النهاري ولا الكائن الليلي، إنَّهُ يعشق الفجر أمله ونوره، ذلك الفجر الذي يأتي تاليًا لسوداوية الليل وظلامه .

ويتبنى النص الشعري لحمزة شحاتة تقنيات لغوية متباينة، في سبيل منح قارئه دفقات شعورية مستمدة من التكثيف اللغوي والإيحاء وتبني تقنية طرح التساؤلات؛ لإثارة ذهن القارئ، كما في قوله:

إنها قصةُ أصنامٍ تؤلَّهْ
التماثيلُ التي صانعها فيها تدلَّهْ
أتُراهُ–ذلكَ الغازِي لأسرارِ الحياة–
كان أبْله؟!
لا. فقد كانَ بصيرًا، وطموحًا، وحكيما
مثلما كان ذكيًا مُلْهَمًا، خَصْبَ المخيلةْ
ثابتَ الخطوِ
يرى المجهولَ–هذا العالم المطوِي–
سرًا، من ألوفٍ مثله
عالَجها حتى جَلاها.. ووَعاها
فرآها لعبًا مألوفةً
مثل التي هامَ بها.. ثم اجْتَوَاها
فرماها، باحثًا عن غيرِها[1]

وحمزة شحاتة يستحضر لقارئه سيرة الإنسان العربي الجاهلي في سياق إيقاظ همته وشحذ عقله في مواجهة تحديات عصره، من خلال طرح التساؤلات المباشرة على القارئ، كما في قوله:(أتُراهُ،ذلكَ الغازِي لأسرارِ الحياة،كان أبْله؟!)، ثم يعاجل القارئ بالإجابة، إنَّ ذلك الإنسان العربي الذي تظنونه أبله لأنَّهُ–في مرحلة ما–عبد الأصنام كان حكيمًا طموحًا مُلْهَمًا، يُجيد استخدام عقله في رؤية وتشكيل كل ما هو مجهول حوله

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٠٣.

والدليل أنَّهُ رمى هذه الأصنام عندما كشف أنها مجرد لعب ودمى من صُنْع يديه، إنَّ التساؤل الذي ألقاه حمزة شحاتة على القارئ يُضفي غموضًا وسَيلًا من التساؤلات تُثار في ذهن القارئ، أجاب شحاتة عن بعضها وترك الكثير منها للقارئ، تساؤلات في ماهية أصنام العصر، وفي الانتماء والنسب لذلك الفارس العربي الجد.

كما يميل النص الشعري لحمزة شحاتة إلى التشاؤم والحزن، فقد طال انتظار شمس الحق، ولم يُعلن عن مجيئها بعد، يقول حمزة شحاتة:

قالوا: تشاءمَ ذو عقلٍ فجُنَّ أسىً ... وما تشاءمَ إلاَّ كلُّ مشؤوم
طالَ انتِظاري لشمسِ الحقِّ غاربةً ... فهل أقولُ لها إن أشرقتْ: غِيمي؟
مُذ ماتَ داعِي العُلى في الحي واشتغلتْ ... فيه النفوسُ بمركوبٍ ومطعومِ
أغرقتُ هَمِّي في كأسِي هوىً وطلىً ... فما أهيبُ بها إن أثقلتْ: عومي
وها أنَا بينَ جنحَي ظلمة وأسىً ... أسري بجرحٍ على الآلام ملموم
إني وما اخترتُ من صبرٍ وفلسفةٍ ... ظامٍ تبدل من ري بيَحْمُوم
أمعنتُ في السخرِ من قومي ومِن وطني ... ولستُ أكثرَ في الحاليْنِ من مُومي
فما وَعَى مِن مُرادي غير ظاهره ... ذوو النُّهى واختلفْنا في المفاهيمِ[1]

وحمزة شحاتة في الأبيات سالفة الذكر يقرُ أَنَّ شعره فيه شيء من الغموض لن يعيه إلا ذوو العقول؛ لما فيه من لمحات فلسفية، وبالتالي فلن يُقَدِّرَ شعره إلَّا كل حكيم رشيد من طلاب العلا، وقد استبد به إحساسه بالتشاؤم والحزن، فقد طال انتظار هؤلاء الحكماء الذين يعون قوله وشعره .

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٤٠.

وفي قصيدة"لا تتكلم" يقول حمزة شحاتة:

لا تتألمْ

آلامُك قداملكْ

ملقَاة صَرْعى

فاصمتْ وتعلمْ

كيفَ تناضلُ مَقْهورا

وتخوضُ لظَى معركةِ الحرية

وَيْلًا وثُبورا

وتُحِيلُ الإرهابَ أمانا

والظلمةَ نُورا

ومآتمَ عيشِك أعْيادا

وأساكَ سُرورا

تاريخُك لا يكتبه قولكْ

بل تمليهِ جراحكْ[1]

ونلحظ في الأبيات السابقة قدرة النص الشعري على تكثيف التعبيرات والمفردات اللغوية؛ ليشدد من إيقاع وإيحاء آلام النفس الداخلية، مثل:(لا تتألم،آلامُك،صَرْعى،اصمتْ،مَقْهورا،لظَى،وَيْلًا،ثُبورا،الإرهابَ،الظلمةَ،مآتمَ،أساكَ،جراحكْ) غير أَنَّ حمزة شحاتة يعمل على التوظيف المعنوي لقيمة هذه الآلام في سبيل إحياء قيم التسامي على الآلام ومواصلة السعي والجهاد .

ويعمد النص الشعري لحمزة شحاتة إلى الغموض،اتساقًا مع معنى المستقبل المجهول، والماضي الذي يُطارد الشاعر بخبرات وذكريات تُخيفه أن تكون قصة حبه الآنية شبيهة وضحية تجارب الفشل السابقة، حتى أَنَّهُ عندما ارتمى بين راحتي محبوبته

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٩٧،١٩٨

الآنيــة يُفتــرض أن يشــعر بالســعادة والراحــة، إلا أَنَّ مشــاعر القلــق والتــوتر تجعلــه كــالغريق بــين يدي محبوته، يقول حمزة شحاتة:

هذا أنا أضربُ في الفَراغ موغِلًا في رِحلة الضَّياع

رِحلتي، وقصَّتي التي أخاف أن يكون بَدْؤها خِتامَها

قصَّةُ عُمْرٍ جاوزَ الشَّبابَ.. بل أضاعَهُ

في تيهِ مَسْراهُ.. إلى مصيرِهِ..

حتَّى رأى في راحتَيك الحلوتَين.. سرَّ ذلك المَصير

فارتَمى بينهما..

وراحَ في سُباتِهِ العَميقِ، كالغَريق

لا يسألُ الطَّريقَ.. عن نهايةِ الطَّريق[1]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٣٨٢.

المبحث الثاني:استيحاء الشخصية التراثية .

"للتراث أهمية بالغة للشاعر العربي المعاصر،فهو يستمد منه الرؤية والتاريخ والهوية، وقد وظفه الشعراء المعاصرون؛ لتحقيق أكبر قدر ممكن من التواصل مع التراث، ولإضفاء سمة الحداثة والجدة عليه"[(١)]، كما"أَنَّ المادة التراثية التي يستحضرها الشاعر في قصائده تمنحنا مفاتيح عالمه الشعري، وتقيم بينه وبين قارئه صلات نسب في المعرفة والمشاركة الوجدانية"[(٢)]، والشخصية التراثية هي"ذلك الشخص الذي اكتسب بمواقفه الفكرية والعلمية، ومقوماته الخلقية والنفسية، وتأثيراته في حياة الأمة ما يُضيف إلى ما يحمله تاريخها من فكر وعمل وسلوك وقيم رصيدًا مذخورًا يُسهم في توضيح هويتها بين الأمم ...والشخصية التراثية بهذا المفهوم تُصْبح رمزًا وحقيقةً، رمزًا لتلك المعاني الثرة والمواقف الحية التي تدفقت من معين تلك الشخصية؛ لتصب في نهر حياة الأمة وتاريخها الحافل بصور الحضارة العريقة...والخروج بالكتابة عن الشخصية من عالم الحقيقة إلى عالم الرمز، أو بالأحرى بـ(الكتابة عنها) إلى (الكتابة بها) يُعَدُّ توظيفًا لتلك الشخصية واستدعاء لآفاقها الرحبة لتطل على العالم بظلالها وتضفي عليه من معانيها ما يحتاج إليه، أو تعكس على صفحاته ما يعد امتدادًا لها، أو تلوينًا لذلك الدور الذي قامت به واستلهامًا لإيحاءاته في دنيا الناس"[(٣)].

والنص الشعري لحمزة شحاتة حافل بالشخصيات التراثية، التي قد يشير إليها مباشرة باسمها أو يستحضر ويستدعي أعمالها وأفكارها التي أثرت التاريخ الإنساني غير أَنَّ أكثر استدعاءات شحاتة للشخصيات التراثية تمثلت في استدعاءاته لشخصيات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم والصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم وعليهن "فشخصيات الأنبياء هي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعًا في شعرنا المعاصر ولا غرو، فقد أحس الشعراء من قديم بأَنَّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم، وتجربة

---

(١)مجلة الجامعة الإسلامية(سلسلة الدراسات الإنسانية) توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة،ماجد محمد النعامي، المجلد الخامس عشر، العدد الأول يناير ٢٠٠٧م، ص ٤٥ .

(٢)مجلة الحياة،مقال:ربع قرن على رحيل سكان الغرفة رقم٨ ،قصيدة أمل دنقل رمز التاريخ ولعبة الأقنعة،فخري صالح،عدد العاشر من يونيو٢٠٠٨م.

(٣)الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر بين التوظيف والتحريف، أحمد محمد علي حنطور، بيادر السعودية، العدد ٢١، ١٩٩٧، ص ١٥، ١٦ .

الأنبياء... ومن ثم فإن شعراءنا كانوا يحسون بنوع من التحرج من توظيف شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تأثمًا من أن يتأولوا في شخصيته أو ينسبوا لأنفسهم بعض صفاته "[1].

ومن نماذج استدعاءات حمزة شحاتة لشخصيات الأنبياء عليهم السلام استدعاؤه لشخصية موسى عليه السلام، ويرى علي عشري زايد أنَّ "أكثر دلالتها شيوعًا استخدامها رمزًا للشعب اليهودي المعتدي، وهو تأول خاطئ لشخصية موسى عليه السلام ينزلق إليه شعراؤنا، فموسى واحد من الرسل الذين بشروا بقيم سماوية نبيلة وتحملوا في سبيل دعوتهم الكثير من العنت والتضحيات، ومن عنت اليهود أنفسهم"[2].

وحمزة شحاتة يتفق نصه الشعري مع هذا التأول الصحيح لشخصية موسى عليه السلام، فلم ينزلق فيما انزلق فيه غيره من الشعراء، فقصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل قصة معاناة حقيقية لنبي الله موسى عليه السلام من عنت بني إسرائيل من جهة، وطغيان فرعون وظلمه من جهة أخرى، وحمزة شحاتة قد لا يُصرح باسم موسى غير أَنِّ أي قراءة للنص الشعري لحمزة شحاتة تُشير إلى موسى عليه السلام، يقول حمزة شحاتة:

ومسرى طراد أظلمتْ جنباتُه لنا، وأضيئتْ للمسوخِ مناوره[3]

إِنَّ البيت السابق يجعل من قضية ونكبة أمتنا في فلسطين قضية مركزية فقد أظلمت جنبات مسرانا الأسير، وأضيئت للمسوخ، وشحاتة بهذا المعنى يستدعي شخصية اليهود الذين مسخهم الله عز وجل عقابًا لهم على جبنهم وعصيانه أوامره، كما ورد في قوله عز وجل:"كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴿٦٥﴾ سورة البقرة .

كما أَنَّهُ يستدعي من قصة موسى عليه السلام رموزًا للخسة والخيانة والعصيان فيستدعي الضال المضل السامري، أَلَا يرمز السامري لكل الشخصيات التي تمثل صفات الخسة والخيانة؟ تلك الشخصيات التي أورثت أمتنا هزائم تاريخية ونكبات معاصرة كان

(١)استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد،ص ٧٧ ، ٧٨.

(٢)المرجع السابق ، ص٨٧ ،٨٨.

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٣٤ .

يمكن لها أن تتجنبها، وحمزة شحاتة يستدعي شخصية السامري وعجله كرموز دالة على وجوب بتر أمثال هذه الشخصيات من واقع أمتنا، يقول حمزة شحاتة:

كَذَب السَّامِرِيُّ، ما كنتَ، يا عجـ ـلُ، سِوى فتنةٍ بغيرِ كساءِ
ضَلَّ فيها لاهٍ، وصَدَّقَ أعمى وتَسَلَّى بها ذَوُو الآراءِ
الخُوار الطَّويلُ آيَتُك الكُبـ ـرَى، تُناجِي بها هَوى الدَّهماءِ
الجياعِ الذين قد رُزِئوا فِيـ ـكَ، وعاشوا على الطَّوى والعَراءِ
أنتَ أكذوبةُ الزَّمان على النا سِ، أطاحَت بقصَّةِ العَنْقَاءِ[1]

وفي الأبيات السابقة يجعل من السامري رمزًا عامًا للتضليل، ثُمَّ يستدعي عجله ذا الخوار، الذي يرمز لكل الظواهر الصوتية التي اتسم بها مدّعو البطولة من أمتنا، وقد كانوا السبب المباشر في نكبات الأمة التي أورثوها الهزائم ونكبوا شعوبهم بالجوع والعراء، فالعجل المقصود أكذوبة كبرى.

كما يستدعي حمزة شحاتة في أبياته شخصية داوود عليه السلام تسبيحه وعذوبة صوته، وجلال المشهد عندما ترجع الكائنات وتردد تسبيحه ومناجاته، كنوع من الدعوة إلى الله وترغيب قارئه في التسبيح والذكر، يقول حمزة شحاتة:

مزمارُ داود، وقد رجَّعَت مواطنُ الإحساسِ إحسانَه[2]

كما يعمد النص الشعري إلى استدعاء تراثية الشخصية العربية في العصر الجاهلي، يستلهم منها معاني العزة والكرامة التي كان يمتاز بها الإنسان العربي الجاهلي وبحثه عن الحقيقة ورفضه لفكرة أن يستعبده أو يذله أحد، إنها قصة الإباء والرفض والكرامة، وحمزة يتخفي خلف قصة إبراهيم عليه السلام ويتسلل إلى عقل ووجدان قارئه، يغذيهما ويذكرهما بذلك الجد العربي الأبي الكريم النفس، يقول حمزة شحاتة:

إنها وثبةُ قهارِ السهولِ والوعورْ
يضربُ الآفاقَ مشبوبَ الرؤى

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢)المرجع السابق، ، ص ٢٣٥ .

بجناحيْ كاسرْ

ينفضُ الأعماقَ جياشَ القوى

بخيالِ الثائرْ

فرأىَ الأجرامَ تَخْفَى

ورأى الأجرامَ تظهَرْ

فتقرَّاها.. وفكَّرْ..

عَبدَ النجمَ، فلما غَرُبَ النجمُ

تولَّاه الفتورْ

بزغ البدرُ فكانَ البدرُ أكبرْ[1]

و في قصيدة "يا ليْلُ ما ذِكْراك ؟ !" يقول حمزة شحاتة:

لـــــن تخـــــدعَ المـــــولى ... يـــــا مـــــدَّعي الإســـــلامْ

هـــــل يرتضِـــــي العـــــدلا ... مِنَّـــــا ذوو الإجـــــرامْ

يـــــا أمتـــــي مَهْـــــلا ... قـــــد تنصـــــفُ الأيـــــامْ

قـــــالوا الـــــدُّجَى يختـــــانْ ... أمانـــــةَ الصـــــبحِ

كـــــم يصـــــنع الشـــــيطانْ ... بالفاضـــــلِ الســـــمحِ

هَـــــلْ اشْـــــتفى لقمـــــان ... بـــــالوعظ والنصْـــــحِ

الشـــــرُّ والإنســـــانْ ... مُـــــوحٍ ومُسْـــــتَوْحِ

أتصـــــبحُ الحيتـــــانْ ... يومًـــــا علـــــى صُـــــلحِ؟[2]

وفي الأبيات السابقة يستدعي حمزة شحاتة شخصية لقمان عليه السلام وما أُشتهرَ به من الوعظ والحكمة والنصح وعلاقة الإنسان بالشر في سياق وصفه للبعض ممن يدعون الانتساب إلى الإسلام،هؤلاء الذين يحاولون خداع الناس بمظاهر التقوى

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٠٤ .

(٢)المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

والورع فيعمدون إلى تمثل شخصية لقمان–عليه السلام وهم في الحقيقة شياطين يوحون للناس بالشر ويزينونه لهم.

كما يستدعي حمزة شحاتة من التراث الإسلامي شخصيات بعض الصحابة رضوان الله عليهم، فيستدعي الصحابي الجليل عمرو بن العاص، يقول حمزة شحاتة:

يا سُطورًا! كتبتُها بِدَمي الحُرِّ أنِيري جوانبَ الصَّحراءِ
عهدَ عَمْروٍ يُحيطُ بالنِّيلِ بَحرًا نَبَوِيًّا سَرَى بِنورِ ذُكاءِ
واعبُري في جيادِه تِيهَ سِينا ءَ لِواءً يُزرِي بكلِّ لواءِ
وانشُري في مواطنِ العَرَب الأَ هينَ نارًا مَكِّيَّةَ الألاءِ[1]

يجعل حمزة شحاتة في أبياته من شخصية عمرو بن العاص دلالة رمزية مركزية تدور في فلكها دلالات رمزية أخرى، فعمرو بن العاص تاريخيًا فاتح مصر وناشر الإسلام في ربوعها، ولم تنعم مصر بالأمن والأمان والخير إلا في ظل عهده المستمد من السنة النبوية المطهرة، ذلك العهد الذي أحاط بمصر نيلها، فأسبغ عليه من معان العزة والكرامة، ثم يعرج النص إلى سيناء وتيهها الذي عبرته الجياد العربية الأصيلة حاملة ألوية الخير والحق ناشرة قيم العدل والرحمة.

كما يلجأ النص الشعري لحمزة شحاتة إلى استدعاء شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصية الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الشخصيات شيوعًا في الشعر العربي المعاصر،و"قد أخذت دلالات متنوعة كثيرة في قصائد شعرائنا المحدثين، وأكثر هذه الدلالات شيوعًا هي استخدامها رمزًا شاملًا للإنسان العربي، سواء في انتصاره، أو في عذابه "[2].

ومن نماذج استدعاءات حمزة شحاتة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، قوله:

كلماتٌ من الرَّحيقِ المصفَّى عَتَّقتها يَدا أبي البُلغاءِ
جَلَّ، يا ثورُ! مَن بَراكَ وناجا كَ على الطُّورِ في ليالي الجَلاءِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٢٢٢ .

(٢)استدعاء الشخصية التراثية في الشهر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ص ٧٨ .

أيُّهـــا السَّـــابحونَ فـــي لجُـــجِ الوَهْـــ ـــمِ! أفيقـــوا مـــن غَمـــرة الإغفـــاءِ
وضَـعُوا العِجـلَ حيـث يَكـدَحُ فـي الغَيْـ ـطِ، ذليـلَ القَـرنينِ فـي اسـتخذاءِ[1]

وحمـزة شـحاتة فـي أبياتـه السـابقة يسـتدعي شخصـية الرسـول الكـريم صـلى الله عليـه وسـلم، كمعـادل موضـوعي للصـدق والطهـر والنقـاء، فكلماتـه هـي النبـراس والرحيـق الشـافي، وحمـزة شـحاتة يختفـي خلـف صـفة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم(أبي البلغـاء) ليضـفي علـى نصـه الشـعري سـموًا وطهـرًا ونقـاءً فـي مواجهـة الغـارقين فـي لجـج الـوهم والجهالـة، فيطلـب مـنهم أن يسـتفيقوا مـن الخـزي والمهانـة وتـأليههم العجـل الـذي يرمـز للجهالـة والـوهم والضلال؛ ليعبدوا الله عز وجل.

وفـي موضـع آخـر يسـتدعي شخصـية الرسـول الكـريم صـلى الله عليـه وسـلم فيسـتدعي شـجاعة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم ولـواءه الـذي يجـب أن يحملـه كـل إنسـان عربـي أبـي معاصـر، كمـا يجـب أن يتقلـد سـيفه الصـارمَ الحَـدِّ اليَعرُبِـيَّ المَضـاءِ فـي مواجهـة أهـل الضـلال والفـتن، وقبـل كـل ذلـك يجعـل الشـاعر للعلـم والقلـم قيمتهمـا وأهليتهمـا للمجـد والنهوض بالمسؤوليات والأعباء، يقول حمزة شحاتة:

قَلَمِـــي! لـــم تَـــزَل لمجـــدِكَ أهـــلًا فـــي دواعـــي النُّهـــوضِ بالأعبـــاءِ
لـــم تَـــزَل فـــي مـــآزِقِ الضَّـــنكِ سـيفًا صـــارمَ الحَـــدِّ يَعرُبِـــيَّ المَضـــاءِ
لـــم تَـــزَل حامـــلَ اللِّـــواءِ وداعـــي عِرقِـــه الحَـــيَّ فـــي أبـــي الزَّهـــراءِ[2]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٥ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

المبحث الثالث:إعادة البنية الزماكانية.

"يصير الشعر سحرًا : يحني العالم، يهزُّ التاريخ، يخضُّ الأيام، يصير أصابع سحرية تلتقط الأشياء وتحولها على هواها، هكذا يبتعد الشعر عن الجمود في واحات الماضي، ويصير لهبًا وتحولًا، وتترك الفراديس الضائعة مكانها إلى المستقبل وفراديسه الآتية"[١] .

إنَّ الماضي ما زال حيًا في الحاضر،"لرغبة الإنسان المستقرة في أعماقه في أَنْ يعيش زمنين إذا استطاع، بدلًا من زمن واحد"[٢]، كما أَنَّ "للمكان حضورَه الفطريَّ في مخيلة الإنسان، فذاكرة الأماكن تظلُّ تتشكل وتُشكل نفسياتنا وخيالاتنا مدى الحياة، وإذا كان ذلك كذلك لدى كافة الناس، فإنه لدى الشاعر منهم أشدُّ، ولئن كانت مخيلة المكان منجمًا صاحب مخيلة الشاعر دائمًا وذاك ما تجلَّى قديمًا لدى شعراء العربية في الوقوف على الأطلال مثلًا، ووصف الصحراء والطبيعة، فإنَّ ما يلفت النظر في الشعر الحداثي على وجه الخصوص استثمار عناصر المكان في كثافة من التوظيف الواعي بوصف تلك العناصر معادلات تعبيرية عن لحظات شعرية، تأخذ موقعها من جغرافية النص"[٣].

والشعر الجديد يتجاوز الماضي، "إنه يتجاوز الأشكال والمقاييس والمفاهيم التي نشأت كتعبير عن أوضاع وحالات مرتبطة بزمانها ومكانها، وبات من الضروري أَنْ يزول فعلها لزوال الظروف التي كانت سببًا في نشوئها، ... فالشاعر الجديد يؤخذ من أصوات الماضي بتلك التي تعانق المستقبل، فيما كانت تعانق حاضرها وتعبر عنه، مثل تلك الأصوات مفتوحة للحوار والنمو والفعل، بحيث إننا لا نقدر في تفكيرنا اليوم إلا أن نتلاقى بها ونفيد منها ونتفاعل معها، وفي هذا التلاقي والتفاعل لا نعاكس المجرى الذي

(١)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد،ص ١٢٤ .

(٢)اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، سلسلة عالم المعرفة الكويتية ،ص ١١٠ .

(٣)حداثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، قراءة نقدية في تحولات المشهد الإبداعي، عبد الله بن أحمد الفيفي، ص ٧١ .

يحفره نهر الإبداع باتجاه المستقبل، بل نصبح كمن يسير مع هذا المجرى ويرافقه ويعيش فيه بانفتاحٍ دائمٍ، وفتوة أبدية"[1] .

ومما سبق يتضح أَنَّ للمكان والزمان أبعادًا دلاليةً تتسللُ في ثنايا النصِّ الشعريِّ المعاصر، فإذا كانت للمكان خصوصيةٌ جغرافية تتعلق بدلالاته المادية، فإنَّه يكتسب دلالاته المعنوية من ارتباطه الشرطي بالأحداث والسياقات التي يخلعها الزمن عليه فالحدث عامل متجدد، والمكان عامل ثابت، فالمكان شاهد شاخص على أحداث الماضي والحاضر والمستقبل أيضًا، والشاعر المعاصر يلجأ إلى المكان يستدعي منه خصوصية الحدث الماضي ليجعل منه سياقًا فاعلًا في حدث آن، أو يستشرف به عتبات المستقبل، وحمزة شحاتة بمعاصرته الشعرية يعمل على استعادة البنية الزماكانية، ليجعل منها عنصرًا فاعلًا في نسيج نصه الشعري، فيحملها دلالات ومعان جديدة تتسق والأحداث الزمانية المعاصرة، ومن ذلك قوله:

الجبالُ السُّمرُ، والرملُ العنيدُ ... فيك يا أمَّ القرى، عقدٌ وجيدُ
ومسارِي الليل، والفجرُ العتيدُ ... في فمِ الدنيا هتافٌ ونشيدُ
أُحدٌ يُملي، وسلع يستفيدُ ... وحراءُ يتهَادى ويقودُ
نهضةٌ تُبنى، وأمجادٌ تشيدُ ... تتلقَّاها تِهام، ونجودُ[2]

وفي الأبيات تتجلى عناصر الزمان في (الليل والفجر العنيد)، وعناصر المكان وتجلياته في (الجبال السمر، أم القرى، جبل أحد ، جبل سلع، جبل حراء السفوح والذرى)، والزمن ممتد لا نهائي في النص الشعري وكأنه لا زمان، فهو زمان لا يتوقف عند أحداث الماضي، فمكة بجبالها وسهولها ووديانها هي نفسها مكة التي نزل الوحي على جبل النور فيها، ثم ترددت أصداء الوحي الإيماني في جبال المدينة المنورة إِنَّ مكة تستعيد رونقها وجمالها ونهضتها بعد أن عانت سنوات من الضياع والإهمال التاريخي ونلحظ تسامي وتسامح النص الشعري مع تلك السنوات التي عانت فيها مكة من الضياع

(١)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد،ص ١٣٤ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٧ .

والإهمال رغم مسافتها الزمنية الطويلة إلى عقد الصلة الزمنية المباشرة بين مكانية مكة إبان ماضيها المجيد من ناحية، ونهضتها الآنية على يد أبنائها،فالنص الشعري يتحرر من سلطة الزمان إلى سلطة وفاعلية الحدث، مستدعيًا القيمة المكانية والرمزية لمكة، فهي حصن العرب ورمز وحدتهم وقوتهم وعزتهم .

وحمزة شحاتة يقتفي أثر مكانية وزمانية مكة في أكثر من موضع، كما في وصفه للفتيات المؤمنات الثابتات على الحق الساهدات المتطلعات إلى الاقتداء بالصحابيات الجليلات رضي الله عليهن الحالمات بوصل ما انقطع من بناء واستعادة أمجاد مكة يقول حمزة شحاتة:

السـاهداتِ بشـوقِهنَّ إلـى مصـيرِ الخالـدات
الحالمـاتِ بمجـدِ مكـةَ فـي الليـالي الحالِكـات[1]

وفي قوله:

هـا نحـنُ نعتسـفُ اللَّظـى ونسـدُّ مجـرى العاصـفات
هـا نحـنُ فـي يـومِ (الحديـ ـقةِ) وَارِدِيـنَ وواردات[2]

ويستدعي حمزة شحاتة مكة مجدها، ثم يعرج إلى الأدوار التي قامت بها الصحابيات يوم معركة الحديقة، معركة اليمامة التي قُتل فيها مسيلمة،حيث تتجلى خصوصية الزمن في (يوم الحديقة) وطهر مكانية مكة ،إنَّ تراثية الصوت الزمني المنبعث من هول معركة اليمامة يُضفي حيوية وفاعلية في البعد المكاني الآني من استعادة مكة دورها ومجدها القديم، ويقتفي حمزة شحاتة زمانية ومكانية مكة، قاصدًا استعادة مجدها ودورها التاريخي، فيقول:

أبـا حسـنٍ آفـاقُ مكـةَ أظلمـتْ طـويلًا فنـوِّرْ فـي قطـوبٍ اربـدادِها
فأنـتَ، وقـد فـدَتْك، أعـراقُ جهـدها خليـقٌ بمـوت الـذكر، إنْ لـم تُفادهـا
ومـا أنـتَ عنـدي موضـع الشـكِ هاهنـا فإنـك راعِـي سـيفِها.. ونجادِهـا[1]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٨ .

(٢)المرجع السابق، ص ٨٠ .

وفي قوله :

أبـــا حســـنٍ مـــاتَ الزمـــانُ وأهلـــهُ ... ولـــم تبـــقَ إلَّا أحـــرفٌ وســـطورُ

دعونَـــاك للكـــأسِ التـــي أنـــتَ كفؤُهـــا ... وذكـــرُكَ فيهـــا نشـــوةٌ وعبيـــرُ

ومـــا ينكـــر القلـــبُ الشـــجاعُ مكانَـــه ... ولـــــو أنَّ عُقْبَـــــاه ردىً وثبـــــورُ

أهـــابَ–فَلبيْنَـــا–الجهـــادَ بمـــا اقتضَـــى ... ومـــا زالَ يلغُـــو ناصـــحٌ.. ونـــذيرُ

وهـــا نحـــنُ فـــي الزحـــفِ العنيـــدِ طليعـــة ... رســـا أُحـــدٌ فيهـــا.. وقـــامَ ثبيـــرُ[٢]

إنِّ تراثيـة وزمنيـة أصـوات الصـفوف الزاحفـة وأصـوات الأبطـال فـي معركـة أحـد مـا زالـت تتـردد أصـداؤها فـي فضـاء جبلـي أحـد وثبيـر، رغـم أنَّ هـؤلاء الأبطـال قـد قضـوا، ولـم يتبـق مـنهم سـوى ذكـرى تضـحياتهم فـي سـبيل نشـر كلمـة التوحيـد، فتلـك الأصـوات وتلـك السـطور مـن تـاريخ أمتنـا المجيـد هـي التـي تـدفق فـي الأمـة روح الحيـاة والعزم؛لنسـتعيد ماضـي أمتنـا التليـد، فتراثيـة الأصـوات الزمنيـة تتسـلل حزينـة فـي ثنايـا الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة لتعزف ألحان الأسى والجراح.

كمـا يلجـأ حمـزة شـحاتة إلـى اسـتدعاء زمنيـة الليـل بظلامـه الـدامس الـذي يرمـز لنكبـات أمتنـا، التـي يرصـدها ويرقبهـا مـن مكانيـة حـراء الـذي يرمـز لمجـد الأمـة الضـائع، إنَّ أمتنـا الموحَّـدة قـد تحولـت إلـى فلـول حالمـة بالنجـاة، ولا سـبيل للنجـاة قبـل أن تشـتفي صـدور الرماح، فتستعيد جهادها وعزمها، يقول حمزة شحاتة :

لـــم تـــرضَ شـــرة الزمـــانِ جِمـــاحي ... فـــاعزِفي لـــي لحـــنَ الأَســـى يـــا جِراحـــي

وانزِفـــي فـــي الـــدُّجى دمًـــا وصـــديدًا ... فمـــا شـــارةُ الهُـــدى فـــي كفَـــاحي

وارصـــدِي الغـــار مـــن أعـــالي حـــراء ... فهـــو وعـــدٌ بينـــي وبـــينَ الصـــباح

لـــن يطـــولَ الســـرى فقـــد رفـــرفَ الفجـــرُ ... علـــى روقـــه بـــالغي جنـــاح

ومضَـــى الليـــلُ فـــي هزيمتـــهِ النكـــراء ... واهـــي الخُطـــى خضـــيب الوشـــاح

وانجلَـــى الشـــكُّ عَـــنْ كثيـــرٍ مـــن الـــوهمِ ... وعـــن قلـــةٍ مِـــن الأشـــباح

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٨٦ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٩٢ .

لَمْلِمِـــي يـــا فلـــول شـــر البقايـــا واســـتقلي بهـــا متـــونَ الريـــاح
واحْلَمِـــي بالنجـــاةِ لـــن تبلغيهـــا قبـــلَ أن تشـــتفِي صـــدورُ الرِّمـــاح[1]

كمـا يسـتدعي زمانيـة ومكانيـة الجاهليـة،فيحملها دلالات آنيـة مـن أهميـة أن يمتلـك الإنسـان زمـام أمـره حـرًا أبيًـا نابـذًا كـل الخرافـات محـررًا نفسـه مـن قيـود وثنيـة العصـر الحـالي التي تتمثل في التحرر من طغيان بني البشر، يقول حمزة شحاتة:

إنها صوتُ البطولاتِ الفتيَّة
من ظلام الوثنية
وصميمِ الجاهلية
إنها تزحفُ ثاراتٍ صديَّة
إنها نارُ الحمية
يوم كانَ الكِبرْ ألا
يعبدُ الإنسانُ إلَّا ما صنعْ
فإذَا شَاءَ تَعَالَى
وإذا شَاء خضعْ
فهو السيدُ في حاليْه
أعطىَ، أو منعْ[2]

تتـآلف فـي الـنص الشـعري العناصـر الزمنيـة مـع عناصـر المكـان الـذي هـو الفضـاء العربـي الآنـي المعاصر؛لتتشـكل لوحـة فنيـة عناصـرها الزمانيـة ظـلام الجاهليـة وحـدثها الزمنـي وثنيـة العربـي الجـاهلي، إلَّا أَنَّ الـنص الشـعري يلجـأ إلـى التغييـر فـي الصـورة السـلبية الزمنيـة التـي ارتسـمت فـي ذهـن القـارئ مـن وثنيـة الجـاهلي، فعلـى الـرغم مـن وثنيتـه إلَّا أَنَّـهُ كـان السـيد لإلهـه الـوثن لأنَّ وثنـه مـن صُـنع يديه،وهـذا الـوثن لا يعـدو أن يكـون حجـرًا فـإنْ شـاء العربـي خضـع لـه وإنْ شـاء تعـالى عليه،فالتراثيـة الزمنيـة ذات دلالـة رمزيـة تتـدفق فـي ثنايـا الـنص

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٠ .

(٢)المرجع السابق، ص ١١٠،١١١

الشعري؛ لتحمل للقارئ العربي المعاصر رسالة ضمنية في أهمية أنْ يستعيد إباء وحمية وسيادة جده العربي حتى ولو كان جاهليًا .

يقتفي حمزة شحاتة أثر الإنسان العربي، فصفاته الأولى في جاهليته من الإباء والكرامة والاعتداد بالنفس،هي مقدمة قصة المجد في عهده وزمانه الثاني إبان صُنعه لأمجاد الإسلام،في النص الشعري يرتب حمزة الأحداث الزماكانية،فالعربي الجاهلي وقد كرمت نفسه بحسن إسلامه،فرفع صوته يوم السقيفة دفاعًا عن وحدة المسلمين،وجهر بكلمة الحق أمام الخليفة،فهو يصنع مجده مهما تباينت الأزمان وتناثرت الأحداث في فضاءات المكان، هو السيد في الجاهلية والقائد المجاهد في صدر الإسلام ومابعده من عصور زمنية مختلفة، وصولًا إلى زماننا الحالي،يقول حمزة شحاتة:

وكريمٌ مثلما عاشَ، وأوفَى عارفه
صوتُهُ يهدرُ في يومِ السقيفة
راضيًا.. أو غاضبًا..
سيفهُ يؤذن بالهولِ الخليفة
منذِرًا.. لا عاتِبا..
ما عداهُ الأمن عن حقٍ
ولا صدَّته خِيفة.
هكذَا عاشَ بماضيهِ
فلم تجحدْ له الدنيا مُرادا
فِيمَ لا يَحيا على أعصابِه في الحربِ، زادَا؟
إنها قصةُ عهديْهِ.. مصيرًا.. وجِهادا
ذاتها.. لم تتغيرْ.
قصةُ السيدِ.. والقائدْ[1]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٢٠، ١٢١.

وحمزة شحاتة يجعل التاريخ وجهته، فيستمد من أحداثة الزمانية وأماكنه ما يُحفز قارئه على الثورة على تلك الكيانات التي يجب أَنْ تتداعى وتسقط، تلك التي تألهت رغم حماقتها على بني البشر، وسيكون حراء وثبير شاهدين شاخصين على سقوط تلك الآلهة، كما كانا شاهدين من قبل على تداعي الأوثان والأصنام في الجاهلية، إِنَّ تراثية أصوات الماضي تتردد في ثنايا القصيدة لا زلنا نسمعها تعمل على وخذ ضمائرنا وتغذية وجداننا بما يحفزنا على الثورة على الظلم والطغيان، يقول حمزة شحاتة:

إنها آلهةٌ حَمْقى فما زالتْ لماضِينا بقية

هي في قصتِنا الفصلُ الأخيرْ

وسنمليهِ على التاريخْ

في ظلِ حراءٍ.. وثبيرْ

ثورة تجرفُ في تيارِها

هذا الكيانَ المتدَاعي[1]

إِنَّ البنية الزماكانية قد تتحول إلى ما يُشبه الضباب عندما يُصدم الغريبالعائد إلى الوطن بوطن غير الوطن الذي أحبه واعتاده ومنى نفسه بلقائه، أو عندما تعتصره معاناة الجفاء من الأهل والأصحاب، أو عندما يُسرف الإنسان في أمنياته وأحلامه أن تستعيد الأمة تاريخها ومجدها، فلا تستعيد، أو تتحول الأمجاد والزمان والمكان وأحداث العزة والنصر والكرامة إلى مجرد ذكريات وروايات يرويها قصاص أو شاعر، يقول حمزة شحاتة:

وأنا ذاتي، ما أنا؟

ألستُ شلوًا من ألوف مثله

كانت تسمى وطنًا.. وأمة..

تاريخها ما زال يرويه الخلودْ

طافحًا بالألقْ؟

فانتشرت.. وأهدرتْ..

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٢٩،١٣٠

ووطئت.. ونسيتْ..

ولم يعد يربطها بموطني.. حتى خيوط الذكرياتِ

الواهية..

من عابرٍ. أو ذاكرٍ. أو منشدٍ. أو شاعرْ

أو راوية؟

وهِمْتُ في هذا الضبابِ. ساعةً كالأبدْ[1]

إنَّ الكلمات تزفر ألمًا وتشهق حزنًا وبؤسًا،وحمزة شحاتة في ميدان الحدث يرى الهزيمة وآثارها في مصر، وقد حاول مرارًا أنْ يُغالب شاعريته وصمته،لكن شاعريته أبت أمام الهزيمة إلا أن تستصرخ خيام صحراء الجزيرة العربية أنْ تهب؛ لتنقذ ما يمكن إنقاذه من كرامة أمة، كانت هزيمتها ياللأسى على يد الخونة من الزعامات الفارغة التي تشبه العجول بأظلافها وقرونها تسوق الغوغاء بسياطها، تلك الزعامات التي تتألّه وتسرق الرغيف، فتجيع شعبها وتسقي أمتها ويلات الهزيمة والعار، وتتجلى عناصر المكان في مصر مسرح الحدث والهزيمة، وخيام الصحراء التي ترمز لقيم الإباء والعزة التي ما تركناها إلا وتكالبت علينا الأذناب والمسوخ، وتتجلى الزمنية في حدث الهزيمة ذاته، واستدعاء تأليه العجول وتقديس خوارها من التاريخ المصري القديم، يقول حمزة شحاتة:

يا خيامَ الصَّحراءِ! قد بَلَغ الصَّمـ ـتُ مَداه على أذى الغَوغاءِ

فاركبي، واضربي، على طول مَسرا كِ، فلولَ الخَيال والخُيَلاءِ

الفُلولَ التي يُسيِّرها ثَوْ رٌ، بسَوطِ الزَّعامةِ الجَوفاءِ

صارَ معبودَها، كما كانَ من قَبـ ـلُ، وقد خار مُمعِنًا في الهُراءِ

وتحدَّى بالظَّلف والقَرْن والذَّيـ ـلِ "وقد هَاجَ" قُدرةَ القُدَرَاءِ

مستَخِفًّا بالإنسِ الجِنِّ، بالعا لَمِ طُرًّا بِرفرَفِ الجَوزاءِ

ماضِيًا في خُواره يُنذِر الدُّنـ ـيا بِوَيلاتِ بَأسِه العَسراءِ

فاختفِي يا نجومُ!! قد أقبلَ العِجـ ـلُ، إلهُ الكُهَّانِ... والعُرَفاءِ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٦١،١٦٢

الـــــذي صَـــــيَّر الخيانَـــــةَ والغَـــــد رَ شِـــــــعارًا لِعهـــــــدِه الوضَّـــــــاءِ

والـــــذي نـــــازَعَ الرَّغيـــــفَ رعايـــــا هُ، فضـــــاقوا بِصَـــــيفِهم والشِّـــــتاءِ

غاصـــبًا مـــن حقـــولهم ثمـــرَ الكـــد حِ زُكامًـــــا، أحالـــــه كالهَبـــــاءِ[1]

وحمـزة شـحاتة يسـتدعي قدسـية المكـان وطهـره وأصـواته الزمنيـة التـي مـا زال يتـردد صـداها ويسـري فـي أجنـاب الـوادي ويـرش رمالـه بـالعطر، إِنَّـهُ عطـر التـاريخ والأمجـاد، لعـل أمتنا تستفيق من غفلتها، يقول حمزة شحاتة:

كسفح حِراءٍ وقُبَا

أَصْواتٌ ما زالَ صداها يسري

ويَرُشُّ الوادِي بالعِطرِ[2]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٤ .

(٢)المرجع السابق، ص ٣٩٥ .

المبحث الرابع : تحويل الدلالة التراثية إلى الدلالة المتجددة .

إنَّ "التغير والتطور سمتان ملازمتان لتعاقب الفكر الإنساني، والتراث بعد هام في مكونات هذا الفكر، ولكن التعامل مع هذا التراث يستلزم وعيًا حقيقيًا به من خلال الاتصال بما يشكل وعاءً مستوعبًا للهموم المعاصرة للمبدع من ناحية والانفصال عنه لمعايشة الواقع الفعلي من ناحية أخرى"(١)، وقد مثلت قضية تعامل الشعراء مع التراث إشكالية لدى النقاد،فهل ينفصلون عنه أم يتمثلونه من خلال رؤية مغايرة تقتفي آثاره المعنوية، أجاب عن هذا التساؤل عز الدين إسماعيل بقوله:" دون معاظلة بنعم،ولا نعم،لأن إطار شعرهم يختلف اختلافًا كليًا عن إطار الشعر القديم، وهم لم يعودوا يتخذون ذلك الإطار القديم مثالًا أعلى يحتذى، ولا لأنهم وإن انفصلوا عنه فإنهم لم يبتروا الصلات المعنوية التي تربطهم به وبالتراث بعامة، إنهم إذن قد انفصلوا عنه، لكي يقفوا منه مع ذلك على بعد بعينه يمكنهم من رؤيته رؤية أصدق، وتمثله تمثلًا أعمق... فشعراء هذه التجربة قد استطاعوا أنْ ينظروا إلى التراث من بعد مناسب، وأنْ يتمثلوه لا صورًا وأشكالًا وقوالب، بل جوهرًا وروحًا ومواقف، فأدركوا بذلك أبعاده المعنوية"(٢) فالشاعر المعاصر "أخذ من هذا التراث الشعري ما يتواءم مع الحالة الشعورية، ومع ما يعتمل في نفسه وواقعه من قضايا وهموم يناقشها ويعالجها، ولم يكن أخذه هذا سكونيًا جامدًا في معظمه بل أخذ يحاوره، وينفي بعض مضامينه، ويخلخل بعضها، سيما تلك التي مثلت حجر عثرة أمام التجديد الشعري، وتطور الإبداع، الذي يمثل هاجسًا يظل الشاعر مسكونًا به،بغية الإتيان بالجديد، وعدم اجترار الأفكار بعلاتها، وأشكالها ومعانيها النمطية،ومِنْ ثَمَّ فهو لا يتناص مع التراث تناصًا عابرًا، كما أنه لا ينفصل عنه انفصالًا قاطعًا"(٣).

والنص الشعري لحمزة شحاتة حافلٌ بالدلالات التراثية التي تحمل مضامين ودلالات عصرية متجددة، حيث يلجأ النص إلى التراث مستدعيًا أبعاده المعنوية ليحملها

(١)التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات الشعرية، مصطفى السعدني، ص ٨٧ .

(٢)الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص٢٧،٢٨.

(٣)التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص ١١٩ .

قضـــايا وهمـــوم معاصـــرة، وقـــد تعاملـــت الدراســـة مـــع الـــدلالات التراثيـــة المتجـــددة علـــى مستويين، هما حداثة الرمز الشعري المستمد من التراث، وحداثة الأسطورة .

أولًا: حداثة الرمز الشعري:

كثيـرًا مـا يلجـأ الـنص الشـعري إلـى تمثـل شخصـيةٍ تاريخيـة أو تراثيـة يجعـل منهـا قناعًـا يختفـي وراءه؛ليحملـه دلالات متجـددة،حيث يمثل"القنـاع شخصـية تاريخيـة فـي الغالـب (يختبـئ الشـاعر وراءهـا)؛ ليعبـر عـن موقـف يريـده، أو ليحـاكم نقـائص العصـر الحـديث مـن خلالهـا...فالشـعراء المعاصـرون يتفننـون فـي اتخـاذ القنـاع للتعبيـر عـن ذواتهـم، ويمثـل القنـاع خلـق أسـطورة تاريخيـة لا تاريخًـا حقيقيًـا فهـو مـن هـذه الناحيـة تعبيـر عـن التضـايق مـن التـاريخ الحقيقـي، بخلـق بـديل له(الأسـطورة)، أو هـو محاولـة لخلـق موقـف درامـي بعيـدًا عـن التحـدث بضـمير المـتكلم، ولكـن رقـة الحـاجز بـين الأصـل والقنـاع، تضـع هـذه الدراميـة فـي أبسـط حالاتهـا، كمـا أَنَّ حضـور الأصـل باسـتمرار مـن وراء السـتار يقلـل التنـوع فـي الأقنعـة علـى اختلاف أسمائها"[1] .

ومن نماذج القناع في شعرحمزة استدعاؤه شخصية أبي حسن، يقول حمزة شحاتة:

أبـــا حســـنٍ، أولتْـــك ذخـــرَ ودادِهـــا ... قلـــوبٌ تُنَـــادي فيـــكَ فَجَـــرَ جهادِهـــا

نـــأىَ بهواهـــا عنـــك مـــاضٍ تشـــاغلتْ ... مســـاعيك فيـــه، مبعـــدًا عـــن مرادهـــا

فعـــادَ بهـــا اليـــومُ الجديـــدُ، مشـــوقةً ... إليـــك، كمـــا لـــو كنـــتَ مـــأمولَ زادهـــا

تلاقيـــكَ بالحـــبِّ القـــديمِ، وقـــد ربـــا ... ورافـــد أمـــواج القـــوى مِـــن عِنادهـــا

وقـــد كنـــتَ مرجـــوَّ المعـــادِ، ولـــم تـــزلْ ... مـــدار المُنـــى، فـــي جزرِهـــا وامتـــدادِها

فأنـــتَ اللســـانُ الحـــرُّ، فـــي ظـــلِ صـــمْتها ... وأنـــتَ مثـــارُ الجمْـــر، تَحـــتَ رمادِهـــا

وأنـــت هُـــدى آمالِهـــا فـــي سُـــهادِها ... ومشـــرقُ أحـــلامِ السَّـــنا، فـــي رُقادهـــا

أمـــا قـــدتَها فـــي مطلـــعِ الجيـــلِ ثـــائرًا ... أطـــاحَ بغايـــاتِ الصـــبى فـــي قِيادهـــا؟

فلـــم تـــدَّخرْ وسُـــعًا، ولـــم تخـــشَ محنـــةً ... تصـــارعُ تيـــارَ الـــردى، فـــي ســـوادها؟[2]

---

(١)اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس،ص ١٢١، ١٢٢ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٨٤ .

في النص الشعري السابق نلحظ شيئًا من الغموض يكتنف الشخصية المحورية أبا حسن،فهل يقصد شخصية تاريخية ؟ أم شخصية متخيلة قناع يختفي وراءه؛ لينفذ إلى وجدان وعقل قارئه، إنَّ جلاء الشخصية وغموضها سمة من سمات الحداثة الشعرية، وكل ما يهمنا أَنَّ شحاتة يختفى من وراء الشخصية؛ليحملها دلالات ومضامين عصرية متجددة، فيستلهم مواقفها وبطولاتها وقيادتها التاريخية للأمة في سبيل استعادة مجدها التليد والنهوض من كبوات هزائمها، إنَّ الأمة تلتقي مع أبي حسن على الحب القديم، وأبو حسن على عهد الوفاء لا يخلف أبدًا موعده،فهو سر نهضة الأمة وقوتها وعنفوانها، وما زال شحاتة يقتفي أثر أبا حسن بقوله:

ألستَ فَتى البطحاءِ اسْمًا، وشارةً ... فأنت فتى بطحائِها في ذيادِها
كذا أنتَ في ما نرتجِي فيكَ صورةً ... تطالعُنا في قُربها، وبُعادها
فلا رُزِئتْ أوطارُنا في خيالِها ... ولا انحلَّتِ الآمالُ، بعدَ انعقادِها
أبا حسنٍ آفاقُ مكةَ أظلمتْ ... طويلًا فنوِّرْ في قطوب اربدادِها[1]

إنَّ أبا حسنٍ شخصية محورية تمثل صورة الماضي، فلا عدمت أمتنا خيالها الذي يبعث ويستدعي فتيان البطحاء؛ ليحققوا آمال الأمة،فقد أظلمت آفاق مكة ترجو وتأمل من ينير جنباتها.

ويستكمل حمزة شحاتة في قصيدة الفم الثاني ما سبق من استدعائه رمزية أبي حسن واتخاذه قناعًا يحمله رؤاه ومضامينه العصرية المتجددة التي تتمثل في هموم أمتنا وقضاياها المعاصرة، يقول حمزة شحاتة:

أبا حسنٍ، ما أنت إلَّا وديعةٌ.. لنا واقْتَضَيْنَاها.. فأينَ تصيرُ؟
تعاقدتِ الآمالُ حولكِ فارِسًا ... نغير به في يومنا ويُغيرُ
وأنتَ لها أو فاعْتزِل حومةَ الوغَى ... وإنك فيها بالثباتِ جديرُ
وَدَعْ أمةً أشرقتَ فيها كشمسها ... يشقُ دُجاها غيرُ نورِك نورُ
وَدَعْ صهوةً أعطتْكَ فضلَ عنانِها ... فأنتَ بما تفضِي إليه خبيرُ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ،ص ٨٦ .

ولا تـــتقحمْ فـــي رعيلِـــك وثبـــةً. تهـــولُ.. ولـــو أن النكـــوصَ مريـــرُ
ولا تـــأسَ للبـــاقينَ بعـــدَك إنهـــم إليهـــا ورودٌ، والخلـــودُ صـــدورُ
ســيلتئمُ الصــفُ الــذي أنــتَ تــاركٌ وإنْ قـــلَّ للمـــأمولِ مِنـــك نظيـــرُ
وتشــرقُ فــي البطحــاءِ شــمسٌ تطلَّعــتْ إليهـــا خيـــامٌ فـــي الحِمـــى وخُـــدورُ[1]

يناجي حمزة شحاتة في أبياته أبا حسنٍ الذي هو وديعة الأمة وذاكرة أمجادها الذي انعقدت الآمال حول فروسيته،فهو ورعيله الفرسان الذين تغير بهم الأمة على أعدائها، وأبو حسن هو الشمس التي أشرقت فأضاءت جوانب الصحراء، ثم يلجأ شحاتة إلى عقد موازنة بين أبي حسن ورعيله من ناحية، والجيل الحالي من ناحية أخرى فيطلب من أبي حسنٍ ألَّا يأسى ويحزن من الباقين الذين جاؤوا بعده، فقد قلَّ نظيره في الباقين المعاصرين، وهؤلاء الباقون لا شك سيلتئم صفهم بك وتعود الشمس التي يتطلعونها ويأملونها لتشرق فتضيئ جوانب البطحاء .

إنَّ الحنين قد فاض بمكة إلى أبي حسن، وإنَّ الدماء تفور في العروق حنينًا صادقًا، كما أَنَّ نيل مصر بفراسته وحكمته يرى فيك الأمل والرجاء، فأسرع أبا حسن فأغث فقيرًا متلهفًا لقيادتك التي ستعيد مجده بعد عثرته ونكبته، يقول شحاتة:

أبـــا حســـنٍ فـــاضَ الحنـــينُ بمكـــةَ إليـــك فهـــلا، والحنـــينُ ســـفيرُ
فقـــد تهـــنُ النـــارُ التـــي أنـــتَ مضـــرمٌ ويســـكنُ وقـــدٌ فـــي الـــدماءِ يفـــور
وإنـــي أرى للنيـــلِ فيـــكَ فراســـةً وأنـــتَ علـــى اســـتبطانِها لقـــديرُ
فخَضْـــخِضْ رمـــالَ العـــدوتيْنِ لتنتهـــي إلـــى ســـره.... إن الحكـــيمَ ســـبورُ[2]

كما يلجأ النص الشعري لحمزة شحاتة إلى أصنام الجاهلية؛ليجعل منها قناعًا رامزًا لكل الطواغيت المعاصرة التي تسلب شعوبها حق الحياة،فتقتلع أكواخهم كي تبني قصورها، وتعصف بالأحرار وتغتال الأبرياء وترى الثورة كفرًا،فتعصف بالثوار وتبيح الرق وتملأ الدنيا فسوقًا، إنَّها آلهة تنضح كفرًا ومروقًا.

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٩٠ .

(٢)المرجع السابق، ص ٩٣ .

يقول حمزة شحاتة:

إنها آلهةٌ تُسْرقُ من أتْباعِها

حتى الرغيفْ

إنها تشرعُ أنَّ الحقَ للقوةِ

تقضِي.. وتحيفْ

إنها تقتلعُ الأكواخْ

كي تبنِي القصورْ

إنها تعتبرُ العزةَ نُكْرا

وترىَ الثورةَ كُفرا

إنها تقتلُ مَنْ يؤثرُ عيشَ الطُهر.. صَبْرا

وترابِي، وتبيعُ الناسْ

ما تسرقهُ منهم وتغتالُ الحقوقا

إنها تحتكرُ الأرزاقَ، والأسواقْ

لا تتركُ سوقا

وتبيحُ الرقَّ.. تستثمرهُ مالا

وَكَّدًا وفسوقا

إنها آلهةٌ تنضحُ كُفرًا ومروقا[1]

إنَّ تلك الآلهة المزعومة قد وطَّأت أرضنا للغزاة وشوَّهت تاريخنا، وقتلت الأحرار، واغتالت الأمل، فاستشرت الفرقة كالوباء، وحولت الناس إلى عبيد وإماء، يقول حمزة شحاتة:

إنها آلهة تجحدنا حَقَّ البقاء.. والأنينْ

وطَّأت أكنافَنا للدخلاءِ الغاصبينْ

شوّهَتْ تاريخَنا

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٢٤، ١٢٥.

طمستْ آثارَنا

قتلتْ أحرارَنا

وَأَدَتْ أوطارَنا

سَلَبَتْ عزتَنا

أوهنتْ عدتَنا

مَزّقَتْ وحدتَنا[1]

من خلال رمزية القناع يُحدث النص الشعري حالات من العصف الذهني للمتلقي لا من خلال طرح التساؤلات لكن من خلال طرح مأساوي للنتائج الناجمة عن هذه الآلهة التي تمثل طواغيت العصر التي حولت كل ما هو جميل ورائع إلى قبيح،فهي التي سلبت عزتنا وكرامتنا ووطّأت أرضنا للغاصبين.

غير أَنَّ حمزة شحاتة لا يلبث أن يمنحنا بصيصًا من أضواء الأمل،فهذه الآلهة المزعومة تتسم بالجهل والحمق والضلال، فما زال لماضينا حضورٌ قوي في أذهاننا، إِنَّ القصة لم تنته بعد،لا زال هناك الفصل الأخير الذي سيستعيد فيه الفاتح العربي أمجاد أمته، يقول حمزة شحاتة:

إنها آلهةُ عشواء

لا تُبصر ما فوقَ القِمَمْ

إنها تهزأُ بالقصةِ.. جَهلًا وضَلالا

وترى الممكنَ من أحداثِها عادَ مُحَالا

إنها آلهةٌ حَمْقى فما زالتْ لماضِينا بقية

هي في قصتِنا الفصلُ الأخيرْ

وسنمليهِ على التاريخْ

في ظلِ حراءٍ.. وثبيرْ

ثورة تجرفُ في تيارِها

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٢٦، ١٢٧ .

هذا الكيانَ المتدَاعي[1]

كما وظف حمزة شحاتة في شعره أصنام الجاهلية كقناع رامز لطواغيت العصر يلجأ إلى الإنسان العربي الجاهلي كقناع رامز لمعان الإباء والرفض الذي لم يقم وزنًا لتلك الآلهة الحمقى فحطمها عندما امتلأ قلبه بنور الإيمان بالله عز وجل، فغزا بإيمانه وسطوته آلهة الأرض ووطأت قدماه جباه الظالمين، إنَّ واجب أمتنا يستدعي منها أَنْ تُسْقط أوثان العصر وتلقي بمخاوفها من أعلى قمم الجبال، يقول حمزة شحاتة:

وغزا آلهةَ الأرض قويًا فطوَاها
إنها سطوتهُ.. تاريخهُ.. فطرتهُ
منذُ خَطَا فوقَ أديمِ الأرضِ
يستجلِي دُجَاهَا
وله في كُلِّ ركنٍ خَاضَ
مِن أركانِها
قصةُ بأسٍ ونضالْ
وطِئتْ أقدامهُ فيها الجَبَاهَا
فارفَعي رايَتك الحمراءْ
وارمِ بالهولِ سُفوحًا وذُرى
وأعيدي يومَك الغابرْ
يومًا أغْبرا
تسقطُ الأوثانْ[2]

وما زال تاريخ أمتنا وتراثها ومجدها التليد يُداعب المخيلة الشعرية لحمزة شحاتة فيستدعي التاريخ والأمجاد ومعاني الإباء من خلال طرح التساؤلات على متلقيه المعاصر، يستنهض عزمه وإيمانه ليعيد لأمتنا أمجادها وقيمها النبيلة، يقول شحاتة:

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ص ١٢٩ ،١٣٠.

(٢)المرجع السابق ، ص ١٣١، ١٣٢ .

أيـن تـاريخُ أمتـي؟ أيـن ماضـيها المـدوي.. معاركـا وملاحـم؟
أيـن أمجادُهـا، وأبطالُهـا أيـن الضـحايا بَنَـتْ وشـادتْ دعـائم؟
أيـن هـذَا التـراثُ نـورًا.. وحريـة فكـر.. فَلَّـتْ جيـوشَ المظـالم؟
أين ذاكَ الإباءُ كبرًا على الكبر وزحْفا على الطُّلى والجماجم؟
إنَّ هـذَا التـراثَ لـو كـانَ أسـطورةَ لهـوٍ.. لشـدَّ منـا العـزائم
فـإذا كـانَ –وهـو مـا زال– إيمـانَ نفـوسٍ ترجـو وتخشـى الله
فهـوَ أقْـوى دوافـع النهضـةِ الغـراء فِكـرا.. وعزمـة.. واتجاهـا
فِـيمَ نلقـى الـردى مصـيرا ونخْشـاه خلاصـا مـن ذلـةٍ نَأْبَاهـا؟[1]

كمـا يلجـأ الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة إلـى التخييـل، "والتخييـل هـو ملمـح مـن ملامـح الحركـة الشـعرية العربيـة الجديـدة، وهـو القـوة التـي تستشـف مـا وراء الواقـع فيمـا تحتضـن الواقـع، أي القـوة التـي تطـلّ علـى الغيـب وتعانقـه، فيمـا تنغـرس فـي الحضـور تصـبح القصـيدة جسـرًا يـربط بـين الحاضـر والمسـتقبل، الـزمن والأبديـة، الواقـع ومـا وراء الواقـع، الأرض والسـماء، وهـذا الحـدس التخيلـي حركـة تتجـاوز التصـورات العقليـة والأفكـار المجـردة المنطقيـة، وتتغلغـل فـي تيـار الحيـاة ودفعتـه الخالقـة، لا يعـود أمـام الشـاعر أي حـاجز، تصـبح الطبيعـة كائنًـا لينًـا طيعًـا يسـمع ويسـتجيب، ويتحـدث الشـاعر مـع الحجـر ويمتطـي الهـواء، ويسـير علـى المـوج.. الرؤيـا الشـعرية هنـا تشـويش لنظـام العـالم الظـاهر وللحـواس، مـن حيـث أنهـا تعبيـر، وتشـويش للكلمـة ونظامهـا هنـا وهنـاك تغيّـر المعنـى والصـورة، والدلالـة: لا تعـود الطبيعـة عنـد الشـاعر عقـلًا، وإنمـا تتحـول إلـى غابـة رمـوز وتخييـل"[2]، والـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة يلجـأ إلـى التخييـل، فيسـبغ علـى الطبيعـة مـن حولـه صـفات محسوسـة، فالجبـال تتحـدث وتسـتجيب والرمـال تعانـد، والـدنيا تهتـف وجبـل أحـد يملـي وجبـل سـلع يسـتفيد، إنَّ نهضـة أمتنـا المعاصـرة تُسـتمد مـن تاريخيـة جبـل أحـد ورمزيتـه الدينيـة فـي نفـوس المسـلمين،من معاني التضحية والفداء وحمل رسالة التوحيد لتشرف بها ربوع العالم، يقول حمزة شحاتة:

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٧٩ .

(٢)مقدمة للشعر العربي، أدونيس، علي أحمد سعيد،ص ١٣٨، ١٣٩ .

الجبـــالُ السُّـــمرُ، والرمـــلُ العنيـــدُ فيـــك يـــا أمَّ القـــرى، عقـــدٌ وجيـــدُ
ومســـارِي الليـــل، والفجـــرُ العتيـــدُ فـــي فـــمِ الـــدنيا هتـــافٌ ونشـــيدُ
أُحـــدٌ يُملـــي، وســـلع يســـتفيدُ وحـــراءُ يتهَـــادى ويقـــودُ
نهضـــةٌ تُبنـــى، وأمجـــادٌ تشـــيدُ تتلقَاهـــا تِهـــام، ونجـــودُ[1]

وحمـزة شـحاتة يسـتدعي رمزيـة السـيف مـن التـراث العربـي؛ ليحملهـا دلالات معاصرة، يقول حمزة شحاتة:

أُرامِـزُ فـي قَـولي، فيُخطِـئُ صـاحِبي مُـرادِي، فأسـتَخِذي، ويَغمُرُنـي الحُـزنُ
ألا قاتَـلَ الله الطِّـلاكـم تَلاعَبَـت بعَـزمِ شُـجاعٍ، فاسـتَقَرَّ بـهِ الجُـبنُ
فزِعْـتُ إلـى شِـعرِي، أُوارِي بـهِ الأسَـى فقيـلَ: أديـبٌ نـاعمُ البـالِ، يَفـتَنُّ
ومـا أنـا إلَّا ثـائِرٌ، فُـلَّ سـيفُهُ وأسْـلَمَهُ الحَـامِي، فَأثخَنَـهُ الطَّعـنُ[2]

فـي الـنص الشـعري سـالف الـذكر يلجـأ حمـزة شـحاتة إلـى السـيف، رامـزًا بـه إلـى شـاعريته ودلالاتهـا الرمزيـة التـي قـد تستعصـي علـى أفهـام بعـض أصـحابه، وللسـيف فـي التـراث دلالات أخـرى كالشـجاعة والعـزم والإرادة، إلَّا أَنَّ سـيف شـحاتة وشـاعريته قـد فُلَّـتْ مـن سـوء ظنـون بعض الناس من أنَّهُ ذلك الشاعر ناعم البال الذي يفتن الناس بشعره .

ثانيًا :حداثة الأسطورة :

"تحتـل الأسـطورة مقامًـا هامًـا فـي كثيـر مـن العلـوم الإنسـانية الحديثـة... كمـا يُعَـدُّ اسـتغلال الأسـطورة فـي الشـعر العربـي الحـديث مـن أجـرأ المواقـف الثوريـة فيـه، وأبعـدها أثـارًا حتـى اليـوم؛ لأن ذلـك اسـتعادة للرمـوز الوثنيـة، واسـتخدام لهـا فـي التعبيـر عـن أوضـاع الإنسـان العربـي فـي هـذا العصـر، وهكـذا ارتفعـت الأسـطورة إلـى أعلـى مقـام، حتـى أَنَّ التـاريخ قـد حُـوِّلَ إلـى لـون مـن الأسـطورة؛ لتـتم للأسـطورة سـيطرتها الكاملـة، لـدورها فـي اللاوعـي الإنسـاني، كمـا أَنَّ لهـا جاذبيـة خاصـة؛ لأنهـا تصـل بـين الإنسـان والطبيعـة وحركـة الفصـول وتنـاوب الخصـب والجـدب، وبـذلك تكفـل نوعًـا مـن الشـعور بالاسـتمرار، كمـا تُعـين علـى تصـور واضـح لحركـة

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٧ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٥٥ .

التطور في الحياة الإنسانية، وهي من ناحية فنية تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية، وتنقذ القصيدة من الغنائية المحضة، وتفتح آفاقها لقبول ألوان عميقة من القوى المتصارعة، والتنويع في أشكال التركيب والبناء"[1] .

والنص الشعري لحمزة شحاتة حافل بتشكلات الأسطورة، التي تحمل دلالات تجديدية على مستوى الأسطورة العربية، وأساطير الأمم الأخرى، ومن نماذج النصوص التي استلهم فيها الأسطورة العربية قوله:

هي همسٌ خافتٌ
مر ليلًا يتستَّرْ
وجمال باهتٌ
كان لِسحر الفن مصدرْ
وخيال صامت ظلَ طويلًا يتعثرْ
إنها قصةُ ماضِينا
على مسرح عبقرْ[2]

وعبقر موضع في جزيرة العرب، كان العرب يعتقدون أنه موضع الجن، فالدلالة التراثية تسبقها دلالة تجديدية وهي المسرح، حيثُ تُرْوَى قصة ماضي العرب التي ما زال يتردد صداها همسًا، وحمزة شحاتة بهذا المعنى يُثْري خيال القارئ الذي سيدقق السمع ليُنْصَت إلى تلك الأساطير، ويُخصِّب خياله؛ لتتشكل في مخيلته تلك الأساطير والأصوات القادمة من أزمان بعيدة على مسرح عبقر .

وفي موضع آخر يجعل حمزة شحاتة من(عبقر) اسم جنس للعرب القدماء، فهم عباقرة الزمان والمكان الذين نثروا النماء والمجد من مكة مرورًا بتيه سيناء إلى نيل مصر يحملون عهد النبوة، عهد السلام والعدل والتسامح الذي حمله عمرو بن العاص إلى

(١)اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، ص ١٢٨، ١٢٩ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٠١، ١٠٢ .

نصارى مصر، والنص يرد أسباب هزيمة الأمة إلى ابتعادها عن نهج السلف الصالح، غير أَنَّهُ يَأْمَلُ أَنْ تستعيد الأمة تاريخ مكة، إنَّ أسطورة العباقرة تتعانق مع الرموز التاريخية التي تتمثل في الصحابي الجليل (عمرو بن العاص)، والحدث التاريخي (عهد عمرو لنصارى مصر)، فتتحرر من سلطوية الزمان والمكان،فتتجدد دلالاتها الرمزية،مُشيرة إلى أسباب الهزيمة، وبشائر النصر إذا ما عُدْنا إلى نهج السلف الصالح، يقول حمزة شحاتة:

عهدَ عَمْروٍ يُحيطُ بالنِّيلِ بَحرًا ... نَبَويًّا سَرَى بِنورِ ذُكاءِ

واعبُري في جيادِه تِيهَ سِينا ... ءَ لِواءً يُزرِي بكلِّ لواءِ

وانشُري في مواطنِ العَرَب الـ ... ـهينَ نارًا مَكِّيَّةَ الألاءِ

لِتَقُصِّي عَهدَ العباقرةِ السُّمـ ... ـرِ كتابًا يَفيضُ بالأنباءِ

وأعيدِي تاريخَ مكَّة، في الآ ... فاقِ، فتحًا يَسِيحُ بالآلاءِ[1]

إنَّ الإنسان العربي نفسَهُ أسطورة عصره وما تلاه من العصور؛ فهو المارد والعملاق الذي ينحت قصة نجاحه وتميزه بيديه، وهو عملاق الصحراء صائد العفاريت الذي من فرْط شجاعته وسطوته وسيادته على أرضه لم تجد وحوش البرية مفرًا من أَنْ تحالفه.

إنَّهُ الأسطورة التي لا تهاب الموت، يقول حمزة شحاتة:

إنه العملاقُ.. صيادُ العفاريتْ

حليفُ الذئبِ.. والسعلاة

خوَّاضُ المنايا.. حَاسرًا

لا يتوقَى الموت

فالموتُ خرافة

من خرافاتِ لياليهِ المليئاتِ

بما سَرَّ وساء[2]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٢ .

(٢)المرجع السابق، ص ١١٦ .

ما أحوجنا أَنْ نستلهم الأجداد شجاعتهم وإيمانهم، فهم المثل في القوة والشجاعة والانتصار للحق،لما نزل بين ظهرانيهم نور السماء، وتطهروا من دنس الوثنية، وعلموا أنهم أمة ذات رسالة، فانضووا في جيش النبوة غزاة فاتحين يحملون المصحف والسيف لا يهابون الموت، بل يُقْبِلونَ عليه انتصارًا للحق، فالإنسان العربي هو المارد، يقول حمزة شحاتة:

إنه جدي القديم، الوثني المارِدْ
مارِدُ الصحراءِ.. تاريخُ دُجاها وسَنَاها
الخالِدْ
ذلك الواثبُ بالراية
في جيشِ محمدْ..
يحملُ المصحفَ والسيفْ
شجاعًا يتوقَّدْ[1]

وحمزة شحاتة يُخَصِّب مخيلة قارئه، فيستدعي الأساطير اليونانية أجواءها من تعدد الآلهة واجتماعها على عروشها، والتي تتداخل مع الآلهة التي كان العرب يعبدونها قبل الإسلام؛ فتتداخل الصور التي تحمل دلالات رمزية، مُعَبِّرةً عن طواغيت العصر الذين تألهوا على ضحاياهم، أصحاب العيون الزجاجية،كناية عن عدم إحساسهم بأوجاع وآلام ضحاياهم، وقلوبهم التي تحجرت من فرط ظلمهم وطغيانهم، يقول حمزة شحاتة:

إنها آلهةٌ فوقَ عروشٍ مِن رمادْ
فمتى تنطلق الريحْ..
مخلاة القيادْ.
إنها ذاتُ عيونٍ من زجاجٍ أسودْ
لا ترَى من خلفهِ إلَّا السوادْ
وقلوبٌ حجرية

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١١٩ .

وميولٌ بربرية

تتغذىَ باللحومِ البشرية

وهي كالبُومِ تحبُّ الظلماتْ[1]

وحمــزة شــحاتة شــأنه شــأن ســائر العــرب يفتقــد دفء الحيــاة العربيــة قبــل المدنيــة والحداثـة، حَيْـثُ الصـفاء والنقـاء والحـب الـذي يجمـع بـين النـاس، يفتقـد تقاليـدنا العربيـة التـي ارتطمــت علــى صــخرة المدنيــة والحداثــة، مَــنْ مِنَّــا لا يستوحشــها؟ فيمتــد بــه الحنــين إلــى الأســاطير والحكايــات التــي كانــت ترويهــا الجــدة عــن العنقــاء والنســور، إِنَّ تلــك الأهــازيج وقصــص البطولــة والشــجاعة هــي المدرســة الأولــى التــي تخــرج فيــه الأبطــال، فمــا أحوجنــا أن نســتعيد خيمتنــا رمــز وحــدتنا، وأَنْ نُحيــي فنوننــا وتقاليــدنا وصــفات البطولــة والشــجاعة فــي نفوس الصبيان، يقول حمزة شحاتة:

فلا أهازيجَ هوى

تغازلُ الصباحْ

ولا ظِباءَ ترتشفُ الأقاحْ

ولا خيامَ تخطبُ الضيوفْ

وتوقدُ النيرانَ للقِرى

وتضرِبُ الدفوف

وأمسكتْ عجائزُ الخدورْ

فما تعيدُ قَصَصَ العنقاءِ والنسورْ

وقَصَصَ الأبطالْ

في مواقفِ النزالِ والفحولةْ

لِيفرَح الصبيانْ

ويحلمَ الفتيانُ بالبطولة[2]

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٢٦ .

(٢)المرجع السابق ، ص ١٨٧،١٨٨

إنَّ النص الشعري لحمزة شحاتة يئن ويتوجع لآلام وأحزان أمته، فالهزيمة على مختلف الجبهات المادية والفكرية، ولا يملك قلمه الشاعر إلا أَن يستدعي أسطورة تأليه المصريين القدماء للعجل أبيس، وهو "عجل ذو صفات خاصة، يرمز للقوة الحيوانية عند قدماء المصريين"[1]، لكنه يظل في نظر حمزة شحاتة مجرد حيوان عجل يرمز بدلالته المتجددة إلى كل طاغوت تسلط على شعبه وأورثه الهزيمة والتخلف، ويبدو النص كفسيفساء يتداخل فيها التاريخ مع الأسطورة مع المكان، فلا نلمح ذكرًا صريحًا للحدث، كما أَنَّهُ لا غموض في المعنى، فالعجل رامز للطاغوت المخيف، فلابد هنا من الرمزية الشعرية، فقد غطى الشحوب والخوف ميادين الفكر والفن، يقول حمزة شحاتة:

لَيتَ شِعْري! ماذا دها النِّيلَ في النَا ... سِ؟؟ أصيبوا بأقتلِ الأدواءِ
حينما ألَّهوا أبيسَ، فأصْلا ... هُمْ جحيمًا.. مُستشريًا كالوَباءِ
يتَردَّونَ في الحياةِ إلى القا ... عِ، وَهُم قبلَه، دعاةُ العَلاءِ
فاشْرَقِي يا عيونُ بالدَّمعِ للنِّي ... لِ! مُصابًا بالمحنةِ الخرساءِ
حيث تَبدو الأقلامُ والفنُّ والفكـ ... ـرُ ظلالًا عديمةَ الإيحاءِ
حيث يَسري الشُّحوبُ في كلِّ شيء ... يَتَغَطَّى بالرَّمزِ.. والإيماءِ
حيث غطَّ التّاريخُ في شاطِئَيهِ ... نائمًا عن مَصيره.. والنِّداءِ[2]

إنَّ للأساطير المصرية القديمة سحرها الذي يُثري النص وتدهم ذاكرة القارئ، فتبعث فيها نشوة الحب، وحمزة يستدعي رمزية الأسطورة المصرية القديمة آمون؛ ليجعله أبًا لفتاته غادة بولاق، ولعل حمزة شحاتة بهذا المعنى يتغزل في البيئة الشعبية المصرية التي ما زالت تحتفظ بظلال من عبق التاريخ، فيخلع على فتاته التي علق بها صفات أسطورية يستلهمها من عبق التاريخ وأساطير الماضي البعيد، يقول حمزة شحاتة:

يا "بنت آمون" هات السحر معتصرًا ... من كرم حسنك، يُذْهل من تحدَّاك
سحرًا بعثت به قلبي الذي سكنت.. ... أَنباضه، فاستوى حيًا، وحيَّاك

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٦ .

(٢)المرجع السابق ،ص ٢٢٦ .

فالسحر قبلك، قد غاضت موارده حتى تكشف عن نبعيه جفناك[1]

والأسطورة الإغريقية "أبولون التي ترمز للموسيقى والشعر والطب والجمال في الميثولوجيا اليونانية تتداعى وتتضاءل أمام شاعرية شحاتة وتفوقه، كما في سياق المناظرات الشعرية التي دارت رحاها بين الراحلين محمد حسن عواد، وحمزة شحاتة وكان عواد قد رمز لنفسه بـ(أبولون)، ورمز شحاتة لنفسه بالليل"[2]، يقول حمزة شحاتة:

يا أبولونُ! يا إلهَ المجانينِ، على غابرِ اللَّيالي، عزاءَ
لستَ إلا خيالَ فكرٍ مريضٍ عُلِّقَتهُ أخنَى القلوبِ، غَباءَ[3]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ٢٨٤ .

(٢)المرجع السابق، ص ٤٩٧ .

(٣)المرجع السابق، ص ٤٩٨ .

الفصل الثالث

وظائف التناص في شعر حمزة شحاتة :

المبحث الأول : الوظيفة الإيديولوجية.

المبحث الثاني : الوظيفة الفنية .

المبحث الثالث : الوظيفة الاجتماعية .

المبحث الأول : الوظيفة الإيديولوجية.

إنَّ الشاعر" ينتمي إلى عالمنا بما لديه من أفكار أو مشاعر أو انفعال؛ لأنه بوصفه إنسانًا يعيش بين الناس لابد أَنْ تنبت في رأسه أو تتسرب إليه الأفكار، ولابد أن يشعر وأن ينفعل، شأن الآخرين، وهو عندما يدخل عالم الشعر لا يطرح من نفسه كل أفكاره ومشاعره، بل يدخل إليه محملًا بهذه الأفكار والمشاعر"[١]، "والمتدبر لتاريخ الفن حتى العصور الحديثة يستطيع أَنْ يُدْرك العلاقة الوثيقة بين الفن والعقيدة، فليس هناك فنان معروف لم يصدر في أعماله الفنية عن عقيدة، و ((العقيدة)) هي التعبير القديم عما نسميه اليوم بالأيديولوجية، فالأيديولوجية عقيدة"[٢]، والأيديولوجية حسب تعريفها في معجم اللغة العربية المعاصرة هي"مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة"[٣]،والتناص الإيديولوجي هو" تداخل النص مع تيارات إيديولوجية معاصرة له، فيوظفها المبدع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة"[٤] فالشاعر المعاصر يلجأ إلى تهجين النص وثرائه من خلال"تلاقح الرؤى بينه وبين الخطوط الداخلة عليه من نصوص أخرى، إذ هي محملة بمعطياتها التي تمتزج به وتتقاطب معه متجهة به إلى الأمام؛ لإنجاز أقصى حد ممكن من التناغم على مستوى الرؤية الشعرية"[٥]

"يعتبر تصنيف نصوص التناص عملًا نقديًا، للكشف عن أشكال التناص لتحليل وظائف الأخذ أو استعارة أو تمثيل نصوص سابقة، ويمكن إرجاع هذا المفهوم إلى ما يسمى(أيدلوجيات التناص) الذي يحسم كثيرًا من الصيغ التي تُبيِّن فاعلية الأثر والتأثر في تشكيل النصوص في الشأن العام للأدب ويمكن إجمال هذه الوظائف في: التحويل الثقافي الذي ينتج الجديد في علم البلاغة التعبيرية. تفعيل المعنى: بأن يمنح النص شحنًا دلاليًا مختلفًا بتبديل مسار الدلالة من خلال (عمل تحويلي). مرآة الذات: وذلك بتحويل

---

(١)الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص ٣٩١ .

(٢)المرجع السابق، ص ٣٧٨ .

(٣)معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، المجلد الأول، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عالم الكتب، القاهرة، ص ١٤٤ .

(٤)جماليات التناص في شعر أمل دنقل، ديوان"البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" أنموذجًا، سواعدية عائشة، مذكرة تكميلية لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، السنة الجامعية ٢٠١٤ / ٢٠١٥، ص ٤٤ .

(٥)التناص الواعي، شكولة وإشكالياته، فاروق عبد الحكيم دربالة،ص ٣٢٣ .

النصوص المأخوذة بآلية الدلالة كي تصبح موضوع ذات (المبدع).. الذات المضطرة إلى إعادة صياغة بلاغاتها من أجل تعريف نفسها" [١].

إنَّ"الشعر المعاصر محاولة لاستيعاب الثقافة الإنسانية–بعامة–وبلورتها وتحديد موقف الإنسان المعاصر منها"[٢]، كما يرتبط"الشعر المعاصر بالإطار الحضاري العام لعصرنا في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة، وهو في هذا الارتباط ليس جديدًا وليس بدعًا، فقد كان الشعر دائمًا معبرًا عن روح الإطار الحضاري المتميز في كل عصر؛ ومِنْ ثَمَّ يُعد كل الشعر عصريًا بالقياس إلى عصره، وعصرية شعرنا نابعة من هذه الحقيقة ومؤكدة لها؛ فهو عصري لأنه يعبر عن عصرنا، بكل أبعاده الحضارية، ولا يعبر عن أي عصر آخر"[٣].

والشعر فن ذو طبيعة إنسانية يتعالق مع هموم وقضايا الإنسان المعاصر، كما يتفاعل مع أطروحات عصره الفكرية والسياسية، والشاعر فنان يتأثر بما حوله تجمعه مشتركات معنوية وفكرية مع قارئه، فلا مفر من التعبير عن كل هذه العلائق فكرية كانت أم سياسية، والنص الشعري لحمزة شحاتة شأنه شأن النصوص الشعرية يتأثر ويؤثر ويتبنى قضايا فكرية وسياسية، وحمزة شحاتة شاهد معاصر لكثير من الأحداث السياسية التي عانت منها أمتنا العربية والإسلامية، كما أَنَّهُ مسلم عقائدي يستحضر النصوص الدينية في شعره، لا كزينة لفظية تُغازل ذائقة القارئ، بل يستحضر روحها ولفظها ومعناها، فيحملها دلالات تتفاعل وتتعالق مع قضايا الأمة المعاصرة .

يتبنى النص الشعري لحمزة شحاتة أيديولجية الحرية في مواجهة الاستبداد فيحمل شحاتة على الزعامات السياسية التي تسببت في هزائم الأمة، فيستحضر أسطورة تأليه المصريين القدماء للعجل أبيس؛ ليخلع صفاته المعنوية والحيوانية على الزعيم القائد الذي نَكَّل بالأحرار وخرَّب البلاد، ونفث سمومه اللفظية والمادية في نيل مصر، فغدر بالصحاب وشتت لُحْمة الأمة.

---

(١)صحيفة الاتحاد الاماراتية، الملحق الثقافي، فاعلية الأثر والتأثر أو تقاطع بلاغات في نصٍ ما مأخوذ من نصوص أخرى سابقة أو متزامنة، ماهر مهدي هلال، عدد الخميس ٢ يونيو ٢٠١١ .

(٢)الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، ص١٤.

(٣)المرجع السابق، ص١٦.

يقول حمزة شحاتة:

غفلـــةُ الـــدَّهرِ يـــا أبـــيسُ! أتاحـــت ... لـــكَ دَوْرَ الظُّهـــورِ بعـــد الخفـــاءِ

لـــم تكـــن فـــي القطيـــعِ صـــاحبَ شـــأنٍ ... يُرتَضَـــى بـــين أســـوَأ القُرَنـــاءِ

إنَّمـــا كنـــتَ يـــا أبـــيسُ، ومـــا زلـــ ... ـــتَ، عقابًـــا لِنـــزوَةِ الأكفـــاءِ

خَسِـــيَ الواهمـــونَ، مـــا أنـــتَ فيـــه ... غيـــرَ رمـــزٍ لشـــدَّة الـــلأْواءِ

يـــا نـــذيرَ الخـــرابِ! نَكَّلـــتَ بالأحـــ ... ـــرارِ، مـــن أهلِـــه بغيـــرِ اتِّقـــاءِ

وَهُمُـــو أجلســـوك فـــي مجلـــس القـــا ... ئِـــدِ يُلقِـــي الآمـــالَ رُكـــنَ التجـــاءِ

فـــإذا أنـــتَ أغْـــدرُ النَّـــاسِ بالصَّحـــ ... ـــبِ، وأوفَـــى لِفطـــرَةِ اللُّؤَمـــاءِ

غِلـــتَهم، وانطَلقـــتَ، وحـــدَك، فـــي النِّيـــ ... ـــلِ، فَحِيحًـــا، كالحيَّـــة الرَّقطـــاءِ[1]

وفكـرة الـتخلص مـن الطغـاة المسـتبدين تتـنفس وتتـداخل كعنصـر فاعـل فـي نسـيج الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة، فيلجـأ إلـى التغييـر والتبـديل فـي دلالات الألفـاظ؛ ليحملهـا دلالات جديدة تتسق وتنسجم مع تلك الإيديولوجية، يقول حمزة شحاتة:

قصةُ الأصنامِ في ظلِّ الحياةِ الوثنيةْ
لم تزلْ تُروى لأبناءِ القِفارِ العربيةْ
من كبارٍ ساخرينْ
وصغارٍ ضاحكينْ
إنها قصةُ جهلٍ.. وهراءٍ.. وجنونْ
طوَّفت تُمعن في ترحالِها
عبرَ القرونْ
من مكانٍ لمكان.. وزمان.. لزمانْ[2]

فـاللفظ تُـرْوَى وقـد تغيـرت دلالتـه إلـى تتجـدد وتتكـرر، وكـأنَّ لقصـة الأصـنام فـي ظـل الحيـاة الوثنيـة صـيرورة دائمـة، مـادام العـرب يعمـدون إلـى تأليـه الطغـاة المسـتبدين، إنهـا قصـة

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٢٨ .

(٢)المرجع السابق، ص ١٠١ .

الجهل والخرافة التي ما زالت تعبث وتتطوف وتُمْعِن في ترحالها عبر القرون من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان.

وإذا كان الليل في الشعر العربي القديم يستمد رمزيته من تطاوله وسمر السمار وسهد المحبين والعشاق يبثون نجومه وظلمته رؤاهم وأشواقهم وهواهم، فالنص الشعري لحمزة شحاتة يُغير من تلك الصورة النمطية القديمة لليل، فيحملها دلالات جديدة تعبر عن أيديولوجيته في مواجهة الطغاة المستبدين، فشحاتة يتكئ على التراثية الرمزية لليل في الذهنية العربية كمثير لذهنية القارئ؛ ليفاجئ القارئ بتغيير الصورة النمطية لليل إلى دلالة جديدة،فالليل هو القائد الصبور الجسور الذي إذا ما أُستُفز صبرُه يثورْ على الطغاة المستبدين، وهو أيضًا قائدٌ لا يجور،لكنه لن يغفر أبدًا للطغاة المستبدين عصفهم بالأحرار، يقول شحاتة شحاتة:

الليلُ يا ابنتي مخوف
ليل الذينَ يجهلونَ كُلَّ ما
يعرفُ غيرُهم عنِ الطيوفْ
والليل يا ابنتي صبورْ
لكنه إذا أُستُفز صبرُه يثورْ
ويملأُ القبورَ بالضحايا
ويقذفُ الصخورَ في لَظى المنايا
الليلُ قائدٌ جسورْ
وحاكمٌ يقضِي ولا يجورْ
لكنه لا يغفرُ الخطايا
للكافرينَ بالقِيمْ
والوالغينَ من دمِ الثوارْ
والخانقينَ صرخةَ الشعارْ
وصانِعي القيودِ للأحرارْ[1]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٩٦، ٩٧ .

وحمزة شحاتة يستحضر من التراث الديني قوله صلى الله عليه وسلم:"كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِه"[1]؛ ليحمل على الطغاة المستبدين، كما يحمل على الرعية التي أسلمت نفسها لليأس فأشبهت الضأن. ويعمد إلى استدعاء شخصية نوح عليه السلام، غَيْر أَنَّهُ يلجأ إلى تذكير الطغاة بألا يأمنوا فغير بعيد عنهم أصوات الثوار التي تتدفق كأمواج البأس؛لتعصف بالطغاة، وقد أجاد شحاتة في التعويل على تراثية اللفظ نوح توريةً، فمعناه القريب الذي يرد إلى الذهن هو نوح عليه السلام،خاصة أنَّه سبق اللفظة نوح بأمواج البأس التي تذكرنا بالطوفان العظيم الذي أهلك الكافرين إبان نبوة نوح عليه السلام، ومعناه البعيد المُراد هو النوح والبكاء فالثوار لن يستجيبوا ولن ترق قلوبهم لنوح وبكاء الظالمين، يقول حمزة شحاتة:

يا راعيَ الضَّأنِ! قد رَوَّعتَها زَمَنًا ... بما تأثَّرتَ من حبسٍ وتَذبيحِ
فإن تسلَّلَ من مرعاكَ نافِرُها ... إلى مُرَادَيهِ من أمنٍ وتَرويحِ
أتاكَ، غيرَ بعيدٍ، صوتُ ثائرها ... مَوجًا من البَأسِ، لا يُبقِي على نُوحِ
أذكت أساكَ الشُّطوطُ الخُرْسُ لو نَطَقَت ... وأرَّقَتْكَ مياهُ النَّهر لَو تَوحِي
مضى الزَّمانُ على مألوفِ سُنَّتِهِ ... يُذَلِّلُ القِمَمَ العَصماءَ للسُّوحِ
ففِيمَ يَعتِبُ ذو عقلٍ على سفهٍ ... في محنةٍ سادَ فيها كلُّ مقبوحِ[2]

وحمزة شحاتة يلجأ إلى الأماكن المقدسة، يستمد من قدسيتها ما يُعضد ويقوي من أطروحته الإيديولوجية، فمكة أم القرى جامعة المسلمين وقبلتهم بها وفيها تأتلف قلوبهم، وتقر مهجهم، وحمزة شحاتة بهذا المعنى يُمهد بمكة وقدسيتها لغرضه السياسي من النص، من تَلمس خطى الأجداد الذين لا يهابون الردى ولا يأبهون للعاذلين الذين يتلبسون أثواب النصحاء، فالغضب ثم الغضب في سبيل تحرير المقدسات، كما أَنَّهُ يوظف الحدث الآني من الهزيمة، فيستحضر قدسية مسرى الرسول–صلى الله عليه وسلم–ويحملها دلالة جديدة على غير الغرض الديني من رحلة الإسراء والمعراج،فمسرانا

(١)صحيح البخاري، حديث رقم ٢٧٥١، ص٦٧٩ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٤٤٩، ٤٥٠.

الـردى لا نهابـه، سـيرًا علـى خطـى الأجـداد، ولتهـب ريـاح الأعـداء مـن كـل صـوب لا نهابهـا يفتتها غضبنا، فهي من تحتنا كثغاء الشاء، يقول حمزة شحاتة:

يـــا حنايـــا أمِّ القُـــرى! فيـــكِ قَـــرَّت ... مُهَـــجٌ، مـــا انطَـــوت علـــى شَـــحناءِ
بَيْـــدَ أنَّ الأذى، وعدوانَـــه السَّـــا ... ـــدِرَ، قـــد أجَّجَـــا لَهيـــبَ العِـــداءِ
فَلـــيكنْ وِزرُهُ علـــى رأسِ جانيـــ ... ـــهِ هَجيـــرًا يَلـــوبُ فـــي رَمضـــاءِ
قـــد بَلَغْنـــا بالصَّـــمت آخِـــرَ حَدَّيـــ ... ـــهِ لِيـــاذًا بِشـــيمةِ الكُرَمـــاءِ
وصَـــبَرنا.. وقـــد صَـــبرنا طـــويلًا ... لتَحـــدِّي السَّـــفَاهِ والبَغضـــاءِ
فانطلَقنـــا إلـــى الحفيظـــةِ لا نَلـــ ... ـــوي علـــى العـــاذِلين والنُّصَـــحاءِ
لا نَهـــابُ الـــرَّدى فمـــا زال مَســـرا ... نـــا ومَســـرى أجـــدادِنا القـــدماءِ
فلْتَهُـــبَّ الرِّيـــاحُ مـــن كـــلِّ صـــوبٍ ... فَهْـــي مـــن تَحتِنـــا ثُغـــاء الشَّـــاءِ
وَلْتَـــدُفَّ الأخطـــارُ شـــرقًا وغَربًـــا ... فَهْـــي منَّـــا ليســـت مـــن الـــدُّخلاءِ[1]

كمـا يتبنـى الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة أيديولوجيتـه الإنسـانية فـي مواجهـة النزعـات العنصـرية، وشـحاتة بهـذا الطـرح الفكـري يضـيف أبعـادًا إنسـانية إلـى نصـه الشـعري؛ ليحلـق بـه في سماوات الشعر العالمي، يقول حمزة شحاتة:

يـــا ليْـــلُ مـــا الأحْســـاب ... والكـــل مـــن حـــواء[2]

وفي قوله:

وفِـــيمَ؟ ويَنْبـــوعُ الخَليقَـــةِ واحـــدٌ ... تمـــايَزَتِ الأضـــدادُ، والنُّظَـــرَاءُ
هُـــدىً، وضَـــلالًا، واتفاقًـــا، وفُرقَـــةً ... وخَيـــرًا، وشَـــرًّا، والعُقـــولُ سَـــواءُ[3]

وفي قوله:

إنَّ كَونًـــا يَعـــجُّ بالنَّـــاس، قـــد كـــا ... نَ لـــه والـــدٌ وحيـــدٌ وأمُّ[4]

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٢)المرجع السابق، ص ١٧٣ .

(٣)المرجع السابق، ص ٤٦٠ .

(٤)المرجع السابق، ص ٥١٦ .

كما يتبنى النص الشعري لحمزة شحاتة الخيارات المتاحة في مواجهة أعداء الأمة من التسامي على الجراح والآلام، وإعلاء قيم بذل النفس والجهاد في سبيل الله، ومواصلة السعي في الحياة، فالنص الشعري هنا يحمل رسالة أيديولوجية عامة تمس عقل وقلب كل إنسان مسلم يذود عن مقدسات الأمة، يقول حمزة شحاتة:

لا تتكلمْ

فكلامُك يُوهن قوة عزمكْ

لا تتألمْ

الألمُ يُعزز موقف خصمكْ

واصل سعيكْ

واجمعْ وعيكْ[1]

والمعنى في النص الشعري السابق ليس معنىً جديدًا وليس فكرة وليدة من بنات فكر حمزة شحاتة، بل هو جزءٌ من عقيدة وأيديولوجية الإنسان المسلم؛ مصداقًا لقوله تعالى:"وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٣٩﴾إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾ سورة آل عمران، وقوله تعالى : "وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴿١٥٥﴾الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴿١٥٦﴾ سورة البقرة.

وفي موضع آخر يستدعي عقيدة الصبر والثبات، على أَنَّهُ ثبات الأحرار وتساميهم على الآلام في وجه الطغاة المستبدين، كما في قوله :

اصبرْ لا تتألمْ

فالصبر ثبات الجبارْ

وصراعُ الأحرارْ

في وجه التيارْ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٧ .

والألمُ فرارْ [1]

وهو بذلك يتعالق نصه الشعري مع النص القرآني في معاني الصبر والتسامي على الآلام، كما في قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٢٠٠﴾ سورة آل عمران، وقوله تعالى : "فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴿٥﴾ سورة المعارج، وقوله تعالى:"وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴿٤٥﴾ سورة البقرة، وقوله تعالى:"وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴿١٢﴾ سورة إبراهيم .

كما يتبنى النص الشعري لحمزة شحاتة موضوعات أيديولوجية تتعلق بعقيدة الإنسان المسلم، فيستحضر الكثير من القيم الإيمانية والأخلاقية، قاصدًا بها عقل المتلقي، يرتقي بفكره ووجدانه، متفاعلًا مع ذاكرته الحافظة للمعاني السامية الواردة في القرآن الكريم فيجعل من النص القرآني عقلًا تتدفق أحكامه وقيمه في عصب النص الشعري، كما في قصيدة"مناجاة"يتناص النص الشعري لحمزة شحاتة ويتعالق ويتفاعل مع معنى التدبر في الكون ومحاولة سبر أغواره، يقول حمزة شحاتة :

فالكونُ حولي مطموسٌ تُراوِدُهُ	رؤَى المَفَازِعِ تَسْتَخفِي وَتَنْكَشِفُ
أجولُ فيه بعينٍ حارَ ناظِرُها	تبغي الرَّجاءَ وتأباها لها السُّجُفُ
إذا تَنَوَّرتُ في ظَلمائِها طَرَفًا	غامَ الدُّجى فَتَوارى ذلك الطَّرَفُ
أتلك نازلةُ المقدورِ تَفجَعُني	أم غايةُ الأملِ المهدورِ ترتجفُ؟
لقد عَرَفتُ طريقَ الرُّشدِ أسلُكُهُ	لو كان لي عن هواك الوَحْفِ مُنْصَرَفُ[2]

إنَّ طريق اليقين والإيمان يمر من باب التدبر في الكون، غير أَنَّ هذا الكون مطموس المعالم، لا سبيل لسبر أغواره إلا بالاستعانة بخالق هذا الكون وتدبر آياته الكونية، وصولًا للرشد، كما في قوله تعالى:"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴿١٩٠﴾الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٩ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٣٢٦ .

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿١٩١﴾ سورة آل عمران، وقوله تعالى:"أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴿١٧﴾وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴿١٨﴾وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴿١٩﴾وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴿٢٠﴾ سورة الغاشية.

وحمزة شحاتة عندما يتعرض للنجوم، أو البدر، أو الشمس، وغيرها من مظاهر وبديع خلق الله عز وجل لا يخرج عن المعنى القرآني، ولا ينصرف عنه، لكنه يتمادى شاعرًا بإيقاع هذا الكون المنتظم فأبياته تحاول أن تُحاكي أو تقترب من الإيقاع المنظم لهذا الكون، كما في قوله :

مَن له بالنجوم، بالبدرِ، بالشَّمـ ـسِ، أليست بصيرةً وهْو أعمى؟
مَن له بالطيور تسبح في الجوِّ خِفافًا، مَعنىً، ورُوحًا، وجسما؟[1]

يبدو شحاتة مأخوذًا ببلاغة وإعجاز النص القرآني في قوله تعالى:"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴿١٢﴾ سورة الإسراء، كما أنَّه يصف حركة الطير في السماء، ويتعرض لتسبيحها للخالق عز وجل، تناصًا مع المعنى واللفظ في قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٤١﴾ سورة النور، وقوله تعالى :" أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴿١٩﴾ سورة الملك فالنص القرآني يتسلل في ثنايا النص والشعري يحمل فكره وأيديولوجيته ، ويستمد منه قدسيته وزينته اللفظية والبلاغية وفكرته التي تقوم على حث الإنسان المسلم على التدبر في خلق الله، وصولًا إلى اليقين والإيمان .

(١)الأعمال الكاملة،حمزة شحاتة، ص ٥٠٦ .

إنَّ إيديولوجية حمزة شحاتة الإسلامية تدفعه وتقوده إلى أَنْ يُحمل نصه الشعري القيم الإسلامية، فيقف بشعره بين الناس ناصحًا أمينًا، مبديًا حزنه وأسفه لما آلت إليه أحوال الناس من لا مبالاة الناس وهُيامهم بارتكاب الذنوب والآثام، محذرًا إياهم من سوء العاقبة، يقول حمزة شحاتة :

مضتْ دروبُ النـاسِ لا تلتقي إلَّا على شحائِنها.. أو تلينْ
تناهبُوا الإثمَ وهامُوا به إلى مصيرٍ ينهبُ الناهبينْ[1]

وهيام الناس بارتكاب الذنوب هو نفسه المعنى القرآني الذي ينص على تكلف الناس في حبهم للدنيا وصدهم عن سبيل الله في قوله تعالى:"الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴿٣﴾ سورة إبراهيم.

وحمزة شحاتة لا يحاول أَنْ يخالف بنصه الشعري ما ورد في النص القرآني عن حتمية وماهية والموت، وأَنَّ الموت من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، فعقائدية وأيديولوجية النص الشعري لشحاتة تتسق وتنبثق من النص القرآني لا تخالفه ولا تدحضه بل تتعصب وتنحاز له، يقول حمزة شحاتة :

إنما الصَّبرُ –والمَنِيَّةُ غَيبٌ– أَن تَخوضَ الغِمَارَ غيرَ مُوَقَّى
كم نَجَا مِن كريهةٍ مُستَميتٌ وأصابَت سهامُها مَن تَوَقَّى
حِكمَةٌ أن تُصانَ بالصَّبر والذُّ لِّ حياةٌ، لو أنَّ حَيًّا سيَبقى
غيرَ أنَّ البقاءَ أُحبولَةُ المو تِ، أُقيمَت لنا، نُسُورًا.. وَوُرقَا[2]

ففكرة حتمية الموت وغيبيته وردت في قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿٣٤﴾ سورة لقمان .

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٤٢ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

إنَّ أيديولوجية وعقيدة النص الشعري لحمزة شحاتة تتخذ من النص الديني قلبًا وعقلًا تتلمس خطاه لا تحيد عن معانيها ولا تتجاوزه، فعقيدة النص الشعري تستمد عقيدة الإخلاص في العبادة في مواجهة النفاق والتدين الزائف، يقول حمزة شحاتة:

قُلْ للذي أبْلَى دنياهُ بالآثامْ
مَا تَابَ مَنْ صَلَّى ولاعَنَا مَنْ صَامْ
لمَّا رأى المحلا وجفوةَ الأيامْ
لن تخدعَ المولى يا مدَّعي الإسلامْ[1]

والفكرة في النص الشعري السابق تتسق والمعنى السامي في قوله صلى الله عليه وسلم:"لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ"[2].

كما يحمل حمزة شحاتة على الشعراء المنافقين، فيستلهم أيديولوجيته الدينية من وصف هؤلاء المنافقين بشهود الزور؛ الذين يقعون فيه، لأجل مكاسب دنيوية، بقوله:

قالوا: حَذقتَ الشعرَ وهو رسالةُ الـ أحرار. كلَّا، يا شهودَ الزُّورِ
لو صَحَّ ما قلتُم لما خاضَ الدُّجى شعراؤكم، ونَعِمتُمو بالنُّورِ[3]

وحمزة شحاتة بهذا المعنى والأيدولوجية تتسق ثقافته الدينية مع ما ورد في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ"[4].

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة ، ص ١٧١.

(٢)صحيح البخاري، رقم الحديث٦٧٧٢،ص ١٦٧٧.

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٣٩ .

(٤)صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٩٧٦، ص ١٥٠٢ .

المبحث الثاني : الوظيفة الفنية.

"إِنَّ النص الأدبي لم يعد مجرد إبداع ذاتي أو بنية فنية مستقلة...بل إِنَّ بناءه إنما يتأسس داخل فضاء فني يسمح له بالانفتاح على نصوص متنوعة يحكمها الترابط والتداخل والتفاعل، وهذا يُفيد أَنَّ النص الأدبي غير قائم بذاته، وأَنَّهُ لا يعدو أَنْ يكون إشارة فنية مفتوحة على نصوص سابقة وأخرى لاحقة"(١).

"إِنَّ التناص الواعي المحكم يسهم في خلق القيم الفكرية والفنية داخل النص ويؤدي إلى إنتاج شعرية عالية مفعمة بالعمق والخصوبة،فهناك–على سبيل المثال مواقف أو مساحات مضيئة في عمق التراث يستطيع التناص أَنْ يستدعيها فنتوحد معها، وتبقى معنا لتعلي من قيمته، حين يصبح النص محملًا بأصوات الماضي وملامحه ونكهته وبهائه"(٢).

"إِنَّ المعارضة الشعرية لا تقف عند حدود التشابه التام مع مكونات التراث الأدبي السابق، بل تتجاوز ذلك إلى تحقيق الاختلاف والتحويل، على نحو يؤكد تكامل مكونات الذاكرة الفنية العربية وتفاعل قديمها مع حديثها، وسابقها مع لاحقها"(٣)،"فالعبرة ليست بالتشاكل وإنما بالقيم الداخلية للنصوص وتلاقحها وما تكتسبه من أبعادٍ فنيةٍ ورؤيوية من عمليات التناص الواعية والمعقدة"(٤)، وعندما يلجأ نص ما إلى معارضة أو اقتفاء أثر نص آخر أو مجموعة من النصوص السابقة أو المتزامنة، فإنه"يقوم بعملية تحويل فني للنموذج المُحْتَذى على جميع المستويات الفنية،وعمل في بعض حواراته النصية على نقل الوحدات المعنوية لنصوصه المُعَارَضة إلى غير الجهة التي كانت عليها من قبل، فيعيد توظيفها بشكل فني يخدم مقاصده المختلفة، وهكذا نجده ينقل النواة المعنوية الواحدة من مقام إلى آخر، ومن غرض إلى آخر، فيحدث بذلك تداخلًا بين السياقات المختلفة،مما يولد المفارقة، ويساهم في إعادة إنتاج المعنى الأصلي بشكل

---

(١)التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، دراسة نظرية تطبيقية، عبد القادر بقشي، أفريقيا الشرق٢٠٠٧، رقم الإيداع ٥٦٩/ ٢٠٠٦، ص ٩ .

(٢)التناص الواعي، شكولة وإشكالياته، فاروق عبد الحكيم دربالة،ص ٣٢٣ .

(٣)التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشي،ص ١٢ .

(٤)التناص الواعي، شكولة وإشكالياته، فاروق عبد الحكيم دربالة، ص ٣٢٢ .

يجعله مختلفًا وفاعلًا في الأذواق الفنية اللاحقة...فالنص المُسْتشهد به عندما يحل بالنظام الدلالي والفني للنص المعارِض، فإنَّهُ يصبح بالنسبة للشاعر وسيلة لتحقيق مقاصده المختلفة، وَمِنْ ثَمَّة تتعرض دلالته الأصلية للتبديل والتغيير والاختلاف، ولضروب من النفي والإزاحة"[1].

إنَّ التراث حاضر في النصوص الشعرية لحمزة شحاتة، يتكئ على التراثية في سبيل إضفاء أبعاد فنية ورؤيوية جديدة، من خلال استدعاء تراثية وتاريخية النص الشعري نفسه، أو استدعاء الرموز التراثية بأبعادها السياسية والنفسية والاجتماعية والأدبية؛ لتحمل إشارات فنية ذات أبعاد معاصرة، ومن نماذج توظيفه الفني للرموز التراثية توظيفه للأطلال يقول شحاتة في مقدمة قصيدة"إلى":

إلى طَلَلٍ، جَرَّ العَفاءُ ذيولَه ... عليه، وعقَّته الرِّياح السَّواخر
فأصبح مَجفُوًا، يَجول فيه البِلى ... كأن لم تكن فيه حياةٌ وسامرُ[2]

يستحضر شحاتة في أبياته تراثية الوقوف على الأطلال، فلطالما وقف الشاعر القديم على الأطلال باكيًا مستحضرًا أحبةً سكنوا يومًا ذات المكان في زمن مضى، فالطلل بهذا المعنى القديم نوع من عذابات النفس الإنسانية على ذكريات المكان والأحداث الزمنية الفاعلة والنفوس الجميلة التي أحدثت في السياقين الزمني والمكاني، غير أَنَّ شحاتة يُغير من الوظيفة الفنية النمطية للطلل من اجترار الذكريات وعذابات النفس في ربوع المكان، فيحملها وظيفة فنية معاصرة، فيجعل من خصمه ومنافسه في مجال الشعر طللًا، وشحاتة هنا يستفيد–فقط–من وحشة الطلل وتقادم عمره وسخرية وعبث الرياح به، وإذا كان الشاعر العربي القديم يدفعه الحنين إلى الأطلال فيحرص على الوقوف بها، فحمزة شحاتة يستبدل بالحنين الجفوة، فطلل شحاتة أصبح مجفوًا لا حياة فيه ولا روح، على غير عادة الشاعر القديم الذي قد يلجأ إلى منح أطلاله صفات حسية، بل يناجيها ويحدثها ويهامسها، يقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد:

لِخَولةَ أطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ[3]

(١)التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشي،ص ٨٩، ٩٢.

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٣٢ .

(٣)ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، ص ١٩ .

كما يذهبُ النص الشعري لحمزة شحاتة إلى شطرٍ شعري من التراث فيصدّر به بيته الشعري أو يجعله عجزًا لبيته الشعري، يقول حمزة شحاتة:

مـــاذا وقوفُـــكَ بـــالأطلالِ والـــدِّمَنِ مُـــوَزَّعَ الـــنَّفسِ بـــين الشِّـــعر والشَّـــجَنِ[1]

وبيت شحاتة يتناص مع بيت الشاعر العباسي البحتري في قوله:

كَـمْ مـن وُقُـوفٍ علـى الأطـلال وَالـدِّمَنِ لـم يَشفِ، من بُرَحاءِ الشَّوْقِ، ذا شجنِ[2]

ومن قول الشاعر العباسي ابن الرومي:

دَعِ الوقـــوفَ علـــى الأطـــلال والـــدمَنِ وذِكـــر جيرتـــكَ الغـــادين للظَّعـــن[3]

وحمزة شحاتة قد يستغرق في وحشة الطلل وما يثيره في النفس من يأس وحزن، فيجعل من الطلل نواة معنوية تدور في فلكها معاني الحزن واليأس، إنَّ حمزة شحاتة يُصيِّر نفسه طلـلًا تكتنفه أطلال اليأس قد أقعده الحزن، ويُمْعِن شحاتة في حزنه مُستدعيًا الوحشة التي يُثيرها الضباب الكثيف في النفس، فمشهد شحاتة بيأسه وحزنه وطلله ووحشته ضبابي بامتياز، يقول حمزة شحاتة:

فأنـا اليـومَ بـين أطـلالِ يأسـي طَلـلٌ للرِّيـاحِ فيـهِ عَزِيـفُ
طَلـلٌ مـوحِشٌ أنـاخَ بـهِ الحُـزنُ وأرسَـى، هـذا الضَّـبابُ الكثيـفُ
اسـتقرَّت بـهِ رغائـبُ روحـي جُثَثًـا مثَّلَـتْ بهـنَّ الصُّـروفُ[4]

وأبيات حمزة شحاتة تكشف عن وظائف فنية أخرى غير عملية التصرف في الدلالات القديمة كالاعتماد على الألفاظ التراثية، فيبدو النص كأنه فسيفساء تتعانق فيه الألفاظ التراثية مع الألفاظ الحداثية فتتحقق بذلك حداثة تراثية للنص الشعري كتوظيفه لألفاظ مثل(طَلل،العَفاء،الدِّمَن،أناخَ،الصُّروف).

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٥٣٦ .

(٢)ديوان البحتري،تحقيق حسن كامل الصيرفي،ص٢١٥٨ .

(٣)ديوان ابن الرومي، شرحه أحمد حسن بسج ،ص ٤٧٢ .

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٣٤٠ .

إنَّ الوقوف على الأطلال والدمن هو تعبير عن الاغتراب والوحشة والشكوى من الابتعاد عن الوطن، "وقد عُبِّر عن الوطن في الشعر العربي بألفاظ ومصطلحات عدة تختلف حسب مساحة دلالتها المكانية مثل أماكن السكن كالمنزل والدار والبيت والمعنى الأوسع لمكان السكن كالمغاني والربوع، وبقايا أماكن السكن كالأطلال والدمن والآثار والرسوم، ومعنى الوطن الواسع كالمدينة والوطن والبلد والأرض"[1]،والنص الشعري لحمزة شحاتة يتصرف فنيًا في الرموز التقليدية القديمة للوطن من الأطلال والرسوم والآثار، إلى استبدال هذه الرموز بالوطن الذي هو عُش يحتويه ،واضطر لأن يهجره بحثًا عن سبل العيش الكريم لصغاره، غَيْر أَنَّهُ يصطدم بعالمٍ موحش يُعلي من قيمة الذهب على قيم الرجال، فيشعر بالاغتراب والحنين إلى وطنه، يقول حمزة شحاتة:

لقد غضبتُ من بلادي

مُستفَزًا.. نافرًا

ورحتُ لا أدري إلى أينْ

كما تهاجرُ الطيورُ من أعشاشِها

تبحثُ عن معاشِها

وخضتُها معركةً رهيبة

للعيشِ. للبقاءِ..

تفيضُ بالدموعِ بالعرقْ

تغصُّ بالعناء.. بالأرقْ

على هزيمِ الرقصِ والغناءِ.. والصخبْ

حيثُ الرجالُ والنساء

يسجدونَ للذهبْ[2]

(١)الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وهيب طنوس، الطبعة الأولى ١٩٧٥، ١٩٧٦، ص ١٨٥ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٥٨ .

غَيْر أَنَّ حمزة شحاتة لدى عودته إلى وطنه يتلقى الصدمة الثانية، فمدينته قد تغيرت رسومها ومعالمها، فقد دُمرت وطُمرت، لقد تغيرت واختفت معالمها حتى رجالها السمر وأطفالها الذين كانو يجولون في حواريها قد اختفوا وتبدلوا إلى أناس آخرين،حتى أَنَّهُ داخله شك أن تكون هذه مدينته، فيستطيل صمته متحيرًا حيرة الذي يبحث ويعاني ولا يهتدي، وشحاتة بهذا المعنى يُخالف التوظيف الفني للقيم المكانية والإحساس بالاغتراب في الشعر القديم، ففي الشعر القديم لا تُطمر مواطن الذكريات طَمرًا يمحو كل معالمها، بل يُداهم الطلل والدمن بعضًا من عوامل التعرية الطبيعية، ويظل محتفظًا بسمته مُفعمًا بعبق الذكريات، إلَّا أَنَّ المدنية والحداثة قاسية تطمر وتزيل وتستبدل فتغير حتى الثوابت وتستبدلها، حتى أنها تستبدل ساكني الأماكن وتغير ديموغرافيتها وجغرافيتها فتقوى بذلك قيم الاغتراب والحنين إلى المكان رغم عدم مُغادرته، أو تتبدل الثوابت المكانية سريعًا في سفرة قصيرة، يقول حمزة شحاتة:

ما الذي أصابَها؟

مدينتي؟

موطن أحلامي.. شَبابي.. ذِكرياتي

وجهادِي لبلادي؟

أين الرجالُ السُّمْرُ بحارتِها؟

أين مَضَوا؟

أشُرِّدُوا مُذْ عصفَ التيارُ بالميناء

أم جاعُوا طويلًا

فَقَضُوا؟

أينَ الصغارُ المرِحونَ والطريقُ الملتوي

الخالي على الدوامِ مِن زحامْ

واحتدامٍ.. وضجيجٍ.. كالذي أسمعهُ

ونورها الشاحب لا يُعَكِّر السكينة

وصائدو الأسماكِ في الغروبْ

سائرون للمدينة

كأنهم أشباحها تحومُ حول سورِها

الصامتِ في جلالهِ

تنبحه الكلابُ أو تنبحُ مَنْ ناموا

في ظلالهِ

لعلي أخطأتُ. أو ضللتْ

كلا إنه موضعها

موضعها بعينهِ.. لكنها!

ويا لهولِ ما أرى

تغيَّرتْ

لعلها قد دُمرتْ.. أو طُمرتْ فهُجرتْ

فبحرُها المطيف بالتلالِ ليسَ حولها

ومَنْ أرى من هذهِ الجموعْ

ليسوا أهلَها

وطالَ صمتي.. وانكفأتُ حائرًا

لا أهتدِي[1]

وقد يُمَثَّل الوطن مُعادلًا موضوعيًا للبيت، كما في النص الشعري لابن الرومي الذي يشكو جاره الذي طمع في بيته، فأحدث أضرارًا ابتغاء إكراه ابن الرومي على أن يبيعه له، يقول الشاعر ابن الرومي:

وَلِـــي وَطَـــنٌ آلَيْـــتُ أَلاَّ أَبِيعَـــهُ وَأَلاَّ أَرَى غَيْـــرِي لَـــهُ الـــدَّهْرَ مَالِكـــا

عَهِـــدتُ بـــه شـــرخَ الشـــبابِ ونعمـــةً كنِعْمَـــةِ قـــومٍ أصبحـــوا فـــي ظِلالكـــا

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٦٦،١٦٧.

فقـــد أَلِفَـــتْهُ الـــنفسُ حتَّـــى كأنـــه لهـــا جســـدٌ إنْ بـــانَ غـــودِرْتُ هالكـــا[1]

بينما حمزة شحاتة يُخالف هذا الطرح القديم للوطن، فالبيت يُمَثَّل الوطن مُعادلًا للوطن، وشحاتة يتكئ على تراثية المكان؛ ليعيد توظيفه فنيًا إظهارًا للحزن والأسى مما أصاب مجتمعاتنا العربية من تبدل وتغير عاداتها القديمة والدفء الذي كانت تنشره الخيمة العربية التي كانت تخطب ود الضيوف، ومجالس السمر، كما يفتقد الهتاف للفرسان وأهازيج الهوى، إنَّ البيت الذي هو معادل موضوعي للوطن قد سُمرت أبوابه وعسكر ظلام المدنية ببرودتها وحدتها حوله، فأحس ساكنوه بوطأة الاغتراب وشدته وشحاتة بهذا المعنى يحول الدلالة الفنية القديمة للوطن ورسومه–من وقوف الشاعر بها وقوفًا حسيًا وصفيًا اجتراريًا لذكرياته السعيدة في ربوع أطلاله، دون أَنْ يشكو افتقاده لدفء الخيمة والقبيلة والعادات والتقاليد إلى دلالة فنية حداثية من الاغتراب في ربوع المدينة وافتقاد الدفء والعادات والتقاليد العربية الأصيلة، يقول حمزة شحاتة:

سيدتي
ما زال بيتنا الكبير مُغلقا
مسمر الأبوابْ
يعسكر الظلامُ حولَ سوره
ويزحفُ الترابْ
وينصب الصمتُ على دروبهِ
ولم تَعُدْ مواقدُ النارِ به
تطارح الشتاء
أغنية الولاء
في مجالسِ السمرْ
وصوحتْ زهورُه
وهاجرتْ طيورُه

(١)ديوان ابن الرومي، شرحه أحمد حسن بسج، ص ١٤ .

منذ قضَى غديرُه

مِن ظمأ –أو انتحرْ

وأعلنتْ نجومهْ

حدادَها على القمرْ

وصممت مسابح الخيلْ

فلا تهتف الفرسانْ

وماتتِ الأعياد والأفراحْ

في مسابحِ الوديانْ

فلا أهازيجَ هوى

تغازلُ الصباحْ

ولا ظِباءَ ترتشفُ الأقاحْ

ولا خيامَ تخطبُ الضيوفْ

وتوقدُ النيرانَ للقِرى

وتضرِبُ الدفوف[1]

ومن نماذج التناص الواعي في شعر حمزة شحاتة اقتفاؤه أثر الشاعر الجاهلي السموأل بن عادياء، وإذا كان السموأل قد مثل أيقونة الأخلاق الكريمة والقيم العربية الأصيلة من الكرم والأنفة وسمو النفس فحمزة شحاتة يجعل من أخلاقيات السموأل ومقدمة لاميته الشهيرة أيقونة وعنوانًا لنصه الشعري، فيعنون قصيدته بـ"مستوى المعيشة والأخلاق في عهد السموأل"، وحمزة شحاتة بهذا التناص والاجتزاء لمقدمة لامية السموأل يعقد موازنة بين أخلاقيات السموأل بن عادياء من ناحية، والأخلاقيات المعاصرة من ناحية أخرى في إطار ساخر يضرب به القيم السلبية التي استشرت في خاصرة عصرنا، "فربما كان احتشاد الماضي الناصع داخل النص مجالًا للطرافة والجدة ولذة البحث

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٨٦،١٨٧.

والاستنارة، لأن ذلك يخلق نكهته الخاصة في داخلنا، وحين يحدث فإنه يدفع بالناقد والمتلقي إلى الاستزادة والتتبع"[1]، يقول حمزة شحاتة:

إذا المرءُ لم يدنس من اللؤمِ عرضه فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

وإن هو لم يعطِ الوظيفةَ حقَّها على سنَّة الأرطال فهو هبيلُ[2]

يقول السموأل:

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ "فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ

وَإِن هُوَ لَم يَحمِل عَلى النَفسِ ضَيمَها "فَلَيسَ إِلى حُسنِ الثَناءِ سَبيلُ[3]

يقول حمزة شحاتة:

تقول التي غازلتُها: أنت أزعرٌ وَنَخْلُك بينَ الملاقِيش فَسِيلُ[4]

يقول السموأل:

تُعَيِّرُنا أَنَّا قَليلٌ عَديدُنا فَقُلتُ لَها إِنَّ الكِرامَ قَليلُ[5]

وفي الأبيات نلحظ أَنَّ نص حمزة شحاتة الشعري لجأ إلى الاستشهاد من النصوص التراثية، وهذا النقل الفني يمثل"أهم أساليب التصرف في تغيير صورة المعنى الواحد، ومن الوسائل التناصية التي تكشف عن انفتاح المعاني وقدرتها على إثارة قراء مختلفين، ومن أهم وسائل الاستشهاد الشعري التنصيص بالمصراع الواحد، التنصيص بالمصراع المتعدد ، التنصيص بالبيت الواحد"[6]، وحمزة شحاتة عمد إلى مقدمة لامية السموأل فجعلها مقدمة لقصيدته، كما عمد إلى بعض أشطر اللامية فضمنها شعره، غير أَنَّهُ غيَّرَ الغرض،فلامية السموأل كانت في غرض الفخر والاعتزاز بالنفس، بينما لامية شحاتة حولت دلالة البيت أو الأشطر المتناص معها من الفخر والاعتزاز بالنفس إلى السخرية والتهكم من الأخلاقيات السلبية التي استشرت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

---

(١)التناص الواعي، شكولة وإشكالياته، فاروق عبد الحكيم دربالة، ص ٣٢٣ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٥٠ .

(٣)ديوان السموأل، تحقيق وشرح واضح عبد الصمد، ص ٦٦.

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٥٠ .

(٥)ديوان السموأل، تحقيق وشرح واضح عبد الصمد، ص ٦٧ .

(٦)التناص في الخطاب النقدي والبلاغي، عبد القادر بقشي، ص ٩٢.

ولتراثية مناجاة واستحضار الصحب توظيف فني جديد في شعر حمزة شحاتة:

ويا صاحبي، والشجوُ للشجوِ ينتمي ... وُقِيتَ الذي يَلْقَى من الشَّجْو خابره

وعلَّمتَنِي سحرَ البيانِ فَهَاكَهُ ... بوارقُه مِنِّي، ومِنْك مواطره[1]

فالصاحب هنا ليس الصاحب التراثي القديم الذي كان يستدعيه الشاعر القديم الصاحب هنا هو النفس وأصداؤها وخيالاتها وأحزانها ،إنَّ الشجو للشجو ينتمي ويتعانق، ويُعزز من قيمة الصبر،وتفريغ شحنات الحزن وتحويلها إلى طاقات إبداعية بيانية.

إنَّ للطبيعةِ جمالًا وسحرًا لابد يختلب مُخيلة الشاعر ويستفز شاعريته، فيضفي عليها من أحاسيسه ورؤاه، ما يصل به إلى غرضه من قصيده، يقول ابن خفاجة الأندلسي في مدح قاضي القضاة:

يانَشرَ عَرفِ الرَوضَةِ الغَنَّاءِ ... وَنَسيمَ ظِلِّ السَرحَةِ العَيناءِ

هَذا يَهُبُّ مَعَ الأَصيلِ عَنِ الرُبى ... أَرَجًا وَذَلِكَ عَن غَديرِ الماءِ

عوجًا عَلى قاضي القُضاةِ غُدَيَّةً ... في وَشيِ زَهرٍ أَو حِلى أَندادِ

وَتَحَمَّلا عَنِّي إِلَيهِ أَمانَةً ... مِن عِلقِ صِدقٍ أَو رِداءِ ثَناءِ

فَإِذا رَمى بِكُما الصَباحُ دِيارَهُ ... فَتَرَدَّدا في ساحَةِ العَلياءِ

في حَيثُ جَرَّ المَجدُ فَضلَ إِزارِهِ ... وَمَشى الهُوَينا مِشيَةَ الخُيَلاءِ[2]

وابن خفاجة يتكئ على الطبيعة لغرض المديح والمجاملة، بينما حمزة شحاتة يلجأ للطبيعة فيتكئ على تراثية التوظيف الفني للطبيعة؛ لتحمل ذاته ومشاعره وأحاسيسه من مشاعر الحب الإلهي،فالطبيعة في شعر حمزة شحاتة تتحول إلى مرآة للتعبير عن حبه لله عز وجل،فلا يخرج عن قيمة تدبر الكون،وصولًا إلى الامتثال والطاعة والحب الإلهي يقول حمزة شحاتة:

يا هوىَ النفسِ حينَ يغمرُني الشوقُ ... إلى المُلتقى البهيجِ السعيد

وهُدى الفكرِ حينَ أبحثُ في الكونِ ... عنِ اللَّه في مقامِ الخلود

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٣٧ .

(٢)ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق عمر فاروق الطباع، ص ١٤ .

وبَقـــائي إذا فنيـــتُ مـــع العُمُـــرِ وأُودعـــتُ فـــي مهـــاوِي اللحـــود
يـا سـنَا النـورِ حـين أُدلـجُ فـي الليـلِ وأصـــبو إلـــى الصـــبح الجديـــد
وانطلاقِـي الغـداة فـي الفلـكِ الرحـبِ إذا ضـــقتُ فـــي الـــورى بقيـــودي
وانســـيابِي مـــع الغـــديرِ إلـــى المـــرج وعـــدوِي مـــع الغـــزالِ الشَّـــرُود[1]

إنَّ كـل عناصـر الطبيعـة تتفاعـل وتعبـر عـن حبهـا لله عـز وجـل، فـالعبير الـذي تضـوع فـي الـدار صـنع إلهـي مـن الطمأنينـة والسـكينة وهـدأة الـنفس، بينمـا ابـن خفاجـة يجعـل الـروض وعرفه عوجًا عَلى قاضي القُضاةِ، يقول شحاتة:

فـــالعبيرُ الـــذي تضـــوَّع فـــي الـــدارِ شـــذا عبقِـــك النَّـــدِي النديـــد[2]

والطبيعـة تتجلـى وتسـمو فـي الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة لتحمـل رسـالة التوحيـد ومعـارك الإيمـان ضـد الكفـر، وضـد المنـافقين، فيجعـل مـن نفـس المـؤمنين الأطهـار ظبيـة بينمـا النـاس ثعالـب وأفـاعي، وشـحاتة بهـذا المعنـى يتكـئ علـى تراثيـة الطبيعـة الشـعرية فـي سياق التطهر من الذنوب والأحقاد، يقول حمزة شحاتة:

آه يـــا ظبيتـــي ســـرحت إلـــى الغيـــبِ إلـــى مهمـــةِ الضـــلال الأكيـــد
حيثمـــا النـــاسُ ثعلـــبٌ عنـــدَ أفعـــى عنـــد ذئـــبٍ بِـــزيّ خِـــلٍّ ودود
مـــا ظلمـــت الـــورَى ولكـــنَّ ســـهمًا منـــك أدْمـــى الرَضـــي بجـــرحٍ حقـــود
لا أرى حـــولي الغـــداةَ ســـوى الاثـــمِ وشـــكِّي بَمَعْـــدَنِي ، ووجـــودي
والتِحـــامي مـــع التقـــى فـــي عـــراكٍ يهـــزأُ الكفـــرُ فيـــه بالتوحيـــد[3]

إنَّ الطبيعـة فـي شـعر حمـزة شـحاتة إسـلامية الهـوى والانتمـاء تـأبى إلا أَنْ تتحمـل قـيم الإيمـان والتوحيـد والحـب الإلهـي، بينمـا يُـبالغ ابـن خفاجـة الأندلسـي مـن جماليـة طبيعـة بـلاد الأنـدلس وهنـاءة أهلهـا بهـا إلـى حـد تفضـيل جنـان الأنـدلس علـى جنـة الخلـد، ويحـاول أَنْ يُصـلح المعنـى بقولـه:إنَّ أهـل الأنـدلس لا ينبغـي أن يخشـوا النـار، فـلا نـار بعـد دخـولهم الجنة، يعني بذلك جنة الأندلس ، لكن لا أعظم من الجنة التي وعد الله–بها–المؤمنين.

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٦٦ .

(٢)المرجع السابق، ص ، ص ٦٦ .

(٣)المرجع السابق، ص ٦٧ .

يقول ابن خفاجة الأندلسي:

يَاأَهـــلَ أَنـــدَلُسٍ لِلَّـــهِ دَرُّكُـــمُ ... مـــاءٌ وَظِـــلٌّ وَأَنهـــارٌ وَأَشـــجارُ

مـــا جَنَّـــةُ الخُلـــدِ إِلَّا فـــي دِيـــارِكُمُ ... وَلَـــو تَخَيَّـــرتُ هَـــذا كُنـــتُ أَختـــارُ

لاتَختَشـــوا بَعـــدَ ذا أَن تَـــدخُلوا سَـــقرًا ... فَلَـــيسَ تُـــدخَلُ بَعـــدَ الجَنَّـــةِ النـــارُ[1]

وحمـزة شـحاتة يُخـالف الجـاهليين فـي تنـاولهم للجبـال وطبيعتهـا الصـامتة الجامـدة "فهـم يعرضـون لأوصـاف هـذه الجبـال بألوانهـا المتباينـة وأشـجارها التـي تكتنـف سـفوحها وتثيـر فـي الـنفس شـعورًا غريبًـا يشـوبه الخـوف ويمازجـه الإجـلال، لهـذا الوقـار الهـادئ والرزانـة المستديمة"[2]،يقول الشاعر الجاهلي تأبط شرًا مُتباهيًا بخفته وسرعته في صعود الجبل:

وقُلَّـــةٍ كســـنان الـــرُّمح بـــارزة ... ضَـــحْيَانَةٍ فِـــي شُـــهُورِ الصَّـــيْفِ مِحْـــرَاقِ

بـــادرتُ قنَّتهـــا صـــحبي ومـــا كسِـــلوا ... حَتّـــى نَمَيْـــتُ إِلَيْهَـــا بَعـــدَ إِشـــرَاقِ

لا شـــيء فـــي ريـــدها إِلَّا نعَامتُهـــا ... مِنْهَـــا هَـــزِيمٌ وَمِنْهَـــا قَـــائِمٌ بَـــاقِ

بشـــرثةٍ خلـــقٍ يـــوقى البنـــانُ بهـــا ... شـــددتُ فيهـــا سَـــريحًا بعـــد إِطـــراقِ[3]

بينمـا للجبـال وطبيعتهـا الصـامتة معـانٍ أخـرى فـي الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة،لها دورهـا ورسـالتها التـي تؤديهـا فـي سـبيل نشـر تعـاليم الإيمـان والتوحيـد، فجبـل أُحـد يُملـي وجبـل سـلع يسـتفيد، بينمـا حـراء يتهـادى ويقـود ويُعلـم فـي سـبيل نهضـة تُبنـى، وأمجـادٌ تشـيدُ علـى جبال تهامة ونجودها وصحاريها، يقول شحاتة:

الجبـــالُ السُّـــمرُ، والرمـــلُ العنيـــدُ ... فيـــك يـــا أمَّ القـــرى، عقـــدٌ وجيـــدُ

ومســـارِي الليـــل، والفجـــرُ العتيـــدُ ... فـــي فـــمِ الـــدنيا هتـــافٌ ونشـــيدُ

أُحـــدٌ يُملـــي، وســـلع يســـتفيدُ ... وحـــراءُ يتهَـــادى ويقـــودُ

نهضـــةٌ تُبنـــى، وأمجـــادٌ تشـــيدُ ... تتلقَاهـــا تِهـــام، ونجـــودُ[4]

(١)ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق عمر فاروق الطباع ،ص ١١٣ .

(٢)الطبيعة في الشعر الجاهلي، نوري حمودي القيسي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، ص ٢٦ .

(٣)ديوان تأبط شرًا وأخباره، تحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ١٣٨، ١٣٩ ،١٤٠.

(٤)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٧ .

وحمزة شحاتة بهذا المعنى يتكئ على تراثية التوظيف الشعري للجبال؛ليضيف إليها إشارات ولمحات ودلالات فنية متجددة، وهذه من غاية الشعر المعاصر من الاتكاء على الطبيعة الجامدة والمتحركة "فمفهوم الطبيعة يتسع ويضيق حسب التبويب الذي يدرج فيه الدارس الكائنات والهدف الذي يرمي إليه والميدان الذي يعمل في نطاقه، فالطبيعة الجامدة تشمل النبات وأحوال الزمان وكل عنصر غير ذي شعور، ومتحركة تشمل عموم الحيوان عند من يخرج الإنسان من مفهوم الطبيعة بسبب الدور الذي يلعبه فيها بتكثيف صورها واصطناع مولداتها ومشاركتها الخلق عمومًا، والطبيعة جامدة ومتحركة غير عاقلة أو متحركة عند من يعتبر الإنسان مظهرًا من مظاهرها، وهي كل شيء في الدنيا حاضر، جامد ومتحرك، عاقل وغير عاقل، مكتشف أو مخترع، عند من لا يهمه حقائق الموجودات في ذاتها ولا تعلم خصائصها وإنما يهمه مجرد وجودها في حاضر الإنسان ورهن تجربته، أما ما كان ولم يعد موجودًا فيرجع إلى سجل الثقافة ويعرفه الإنسان بتعلم ويدركه بسماع أو قياس، وقد غلب إطلاق لفظ الطبيعة على الجامد والمتحرك غير العاقل من الكائنات"[1].

وحمزة شحاتة يُدرك الأدوار الجمالية والفنية للطبيعة، فلا يكتفي بالتوظيف الفني القديم للطبيعة، فتصوير الطبيعة غاية كل فنان، غير أَنَّهَا يجب أَنْ تحمل رؤاه وأفكاره وتُلقي بظلالها على معانيه الخفية، يقول شحاتة في قصيدة "الشعر موسيقى الجمال":

لو كانَ تصويرُ الطبيعةِ غايةَ الـ ... ـفنانِ لم تنشدْ رؤاه كَمَالَهَا
إن الجمالَ مظاهرٌ فتانةٌ ... تضفِي على المعنى الخفيِّ ظلالَها
والشعرُ موسيقى الجمالِ وفنها الـ ... ـعلوي، ينسجُ مبدعًا سربالها
يَامَا تخطفها المعارض ندرة ... آلى غرورُ الجهلِ أنْ يَكْتَالها
حق الخراب على الفنونِ بعصبة ... جعلتْ على دعوى البِناء تكالها
ومتى هدمتْ لكي تشيدوا، ولم تشد ... بكتِ الحياةُ على يديك مآلها[2]

(١)خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي،ص :١٧٠.

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٦ .

المبحث الثالث: الوظيفة الاجتماعية.

"إنَّ الإنسان المعاصر في ظل النوازع القومية المتعددة قد انتقل من واقع التاريخ إلى تبني((الأسطورة التاريخية))واستخدامها حافزًا في تقوية((التكاتف الاجتماعي))في الأمة الواحدة، وإنْ كان ذلك يمتد بمبدأ الإيمان بإرادة القوة، إلى الخروج من حال الضعف والتفكك والتخلف إلى التغطية على معالم التخلف والتفكك والضعف، واستعارة صبغة خارجية رقيقة ملساء؛ لاستشعار قوة وهمية"[1] .

كما أَنَّ للتراث دورًا فعالًا في أداء وظيفة اجتماعية،فمن يؤمن "أنَّ الشعر فعالية إنسانية لابد من أنْ تؤدي دورها في إيقاظ المجتمع، وفي هذا الصدد تصبح مخاطبة المجتمع أو الجمهور وصلًا لهذا الشعر بالتراث، حتى يستطيع ذلك المجتمع أو الجمهور التراثي في نزعته قادرًا على تذوقه والتأثر به"[2].

والنص الشعري لحمزة شحاتة يؤدي وظائفه الاجتماعية في توجيه النقد البناء للمجتمعات العربية، في سبيل إصلاحها وتحريرها مما أصابها من الجمود والتخلف، من تحكيم قيم مخالفة لما جاء به الإسلام، كما في قضايا المرأة العربية، والحث على تعزيز قيم العلم في مواجهة الخرافة والجهل، وأَنْ يعود الإنسان العربي إلى قيمه وعاداته وتقاليده من الإباء والاعتزاز بالنفس، وغيرها من القضايا الاجتماعية .

ومن نماذج التوظيف الاجتماعي، تعزيزًا للمرأة العربية وإعلاءً لها في سبيل استعادتها دورها المنشود في بناء المجتمعات العربية، يقول حمزة شحاتة:

مرحَى بواكيرَ البناتِ وهلًا رعيلَ الشائراتِ

مَرْحَى مفاتيحَ الرجَا ء ومرحبًا بالرائداتِ[3]

وحمزة شحاتة يصنع صنيع الشاعر أحمد شوقي من التهليل والترحيب بالمرأة العربية وتعزيز دورها.

---

(١)اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس،ص ١١٠ .

(٢)المرجع السابق، ص ١١٧، ١١٨ .

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٧٨ .

يقول الشاعر أحمد شوقي:

قُـــم حَـــيِّ هَـــذي النَيِّـــراتِ حَـــيِّ الحِســـانَ الخَيِّـــراتِ
وَاِخفِـــض جَبينَـــكَ هَيبَـــةً لِلخُـــرَّدِ المُتَخَفِّـــراتِ
زَيـــنِ المَقاصِـــرِ وَالحِجـــا لِ وَزَيـــنِ مِحـــرابِ الصَـــلاةِ
هَـــذا مَقـــامُ الأُمَّهـــا تِ فَهَـــل قَـــدَرتَ الأُمَّهـــاتِ[1]

والشاعر أحمد شوقي وحمزة شحاتة ينطلقان من وجهة نظر إسلامية في سبيل استعادة المرأة العربية دورها في تقدم المجتمع وبنائه، بينما كانت الأسبقية في التناول الشعري لقضية المرأة وحقها في التعلم والعمل وغيرها من الحقوق لشوقي، وإذا كان النص الشعري لحمزة شحاتة يقتفي أثر شوقي في موضوع المرأة، فإنه أيضًا يقتفي أثره في قافية النص الشعري وقوافي النص الداخلية، بتوظيف الألف والتاء جمع المؤنث السالم في النحو العربي، بيد أنهما يقتفيان النص القرآني في قوله تعالى:"فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّه﴿٣٤﴾ سورة النساء

والنص الشعري لحمزة شحاتة يحمل على من يستغلون قضايا المرأة العربية في سبيل تغريبها عن عاداتها وقيمها الإسلامية، فللمرأة العربية أن تنال حقوقها وهي متمسكة بدينها وقيمها، غير عارية الصدر حاسرة الثوب، وهي لن تنال حقوقها إلا بدعم من شريعتها وتمسكها بدينها غير يائسة ولا صامتة ولا راضخة لظلم، يقول حمزة شحاتة:

أهنـــاكَ غيـــرُ الرامزيـــ ـــنِ، لأمْسِـــهم، والرامِـــزات؟
والقـــابعينَ الهامسيـــ ـــنَ، بمجـــدِهم، للهامِســـات؟
والمُـــدْلجِينَ الضائِعيـــ ـــنَ، بـــلا غـــدٍ، والضـــائعات؟
والراضِـــخَينَ اليائسيـــ ـــنَ، لعَجْـــزهم، واليائســـات؟
أهنـــاكَ غيـــرُ الصامتيـــ ـــنَ، علـــى دنـــيً، والصـــامتات؟
أهنـــاكَ غيـــرُ الصـــبرِ والإ ذعـــانِ، فـــي نـــارِ الشـــمات؟
أهنـــاكَ؟ وانحســـرَ الظـــلا مُ عـــنِ الصـــدورِ العاريـــات

(١)الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، ص١٠٢.

أهنـــــــاكَ؟ وانـــــــتفضَ الشـــــــرا غُ علـــــى الأكـــــفِّ الصـــــارمات

أهنـــــــاكَ؟ وانطلقـــــــتْ أعـــــــا صـــــــيرُ الكِفـــــــاح، مُـــــــدَوِّمات[1]

ومـا زالـت قضـية نيـل المـرأة العربيـة مكانتهـا وحقهـا تلـح علـى الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة، فيحلـق بشـعره بعيـدًا، متخـيلًا حـوارًا بـين شـجرة وأختهـا يتناجيـان ويبثـان حزنهمـا لبعضـهما الـبعض، فالشـجرتان ترمـزان للمـرأة التـي تُعـاني صـراعًا داخليًـا بـين عـادات مُخالفـة لشـريعة الإسـلام السـمحة وتحقيقـه قيمـة المـرأة وتكريمـه لهـا مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى مـا يجـب أن تقـوم بـه المـرأة فـي التصـدي لهـذه العـادات التـي تمنعهـا حقهـا وتحـول بينهـا وبـين مكانتها، يقول حمزة شحاتة:

لِـمَ يـا أُخـت نـؤثر الصـبر، والصـبر –علـى مـا تـرين– قيـد المسـاعي؟

مـا لنـا مـن ثمارنـا –وهـي مـن صـنع قوانـا– إلَّا نصـيب الجيـاع...

مـــا أَرانـــا للحـــارثين ســـوى نهـــب، وللآكلـــين غيـــر متـــاع

فتعـــاليَ نـــداوِ بـــالقول قلبينـــا ونعـــزف بـــه علـــى الأَســـماع..

علّنـا بالغـان بـالقول مـا لـم يبلـغ الصـمت فـي مجـال الصـراع

رب قـــول هـــز العـــزائم أَو أَحيـــا الأَمـــاني أو اســـتحثُّ الـــدواعي

بـــل دعينـــا نثـــر علـــى تربـــة الضـــيم فـــإِن الحيـــاة فـــوق الـــتلاع[2]

إِنَّ مكانـة المـرأة التـي يجـب أن تسـتعيدها هنـاك فـوق الجبـال، وعليهـا أَنْ تثـور علـى الظلـم مـن أجـل اسـتعادة مكانتهـا ودورها،وشـحاتة بهـذا المعنـى يخـالف دلالـة صـعود الجبـال التي ترمز للصعاب وصعودها للإرادة والعزيمة والصبر.

كما وردت في النص الشعري للشاعر أبي القاسم الشابي في قوله:

ومـــن لا يُحِـــبُّ صـــعود الجبـــال يعـــش أبَـــدَ الدهـــر بيـــن الحـــفرْ

فعجَّـــتْ بقلبـــي دمـــاءُ الشـــباب وضجَّـــت بصـــدري ريـــاحٌ أخَـــرْ...

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ٨١ .

(٢)المرجع السابق، ص ٢٦٢ .

وأطـــرقتُ، أصغـــي لقصـــف الرعـــودِ وعـــزفِ الريـــاحِ، ووقـــعِ المطـــرْ[1]

إلَّا أَنَّ قضـية حمـزة شـحاتة التـي يُعالجهـا هـي قضـية اجتماعيـة، بينمـا قضـية الشـاعر الشابي سياسية في حث الشعوب على نيل حرياتها والتحرر من الظلم والطغيان .

كمـا يلجـأ الـنص الشـعري لحمـزة شـحاتة إلـى الإنسـان العربـي القـديم نفسـه بوصـفه شخصـية تراثيـة، تجلـت فيهـا سـمات الإبـاء والكرامـة والحميـة والاعتـزاز بـالنفس، فـي سـبيل إحيـاء ونشـر هـذه القـيم فـي مجتمعاتنـا العربيـة والإسـلامية، فالإنسـان العربـي حـر كـريم الـنفس مـا إِنْ أشـرقت عليـه نـور الإسـلام حتـى انـتفض فـنفض وثنيـة الجاهليـة، وحمـل سـيفه ومصـحفه في جيش محمد صلى الله عليه وسلم، يقول حمزة شحاتة:

إنه جدي القديم، الوثني الماردْ

ماردُ الصحراءِ.. تاريخُ دُجاها وسَنَاها

الخالدْ

ذلك الواثبُ بالراية

في جيشِ محمدْ..

يحملُ المصحفَ والسيفْ

شجاعًا يتوقَّدْ[2]

كمـا كـان لهـذا الجـد العربـي التراثـي دورٌ اجتمـاعيٌ فـي محاربـة الخرافـة والضـلال بقـيم الفروسـية والشـجاعة والإبـاء، وحمـزة شـحاتة يتكـئ علـى تراثيـة الرمـز الشـعري للجـد العربـي القـديم فـي سـبيل دحـض الأسـاطير والخرافـات والجهالـة المعاصـرة أيضًـا بـذات القـيم القديمـة مـن اسـتعادة الإنسـان العربـي المعاصـر لقـيم الفروسـية فـي سـبيل اسـتعادة الأمـة مجـدها وتحطيم أعدائها، ممن يدعون أنهم أساطير لا تُهزم، يقول حمزة شحاتة:

إنها الميراثُ

ما كانَ تهاويلَ خيالْ

(١)ديوان أبي القاسم الشابي ، شرحه أحمد حسن بسج،ص ٧٠ .

(٢)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١١٨، ١١٩ .

لاَ. ولاَ كانْ

أساطيرَ ضلالْ

إنما كان

فروسيةَ قاماتِ طوالْ

حفرت عبرَ الجبالِ الصمِ

للخيلِ مجالْ

فَاغِرِ الأعماقِ

مجنون الصَّدى[1]

كما كان هذا الجد العربي التراثي فيلسوفًا مُفكرًا صاحب رأيٍ وحكمةٍ، وفنانًا شاعرًا مُنْطقًا الأطلال والأظعان من سحر الأهازيج الندية، وحمزة شحاتة بهذا المعنى وهذا الاستدعاء التراثي لأسطورة الجد القديم يؤدي بشعره وظيفةً اجتماعية من حث الحفيد العربي المعاصر على التفكير والتجاوب مع مخيلته، فهو الوريث الشرعي لجده الحكيم الفيلسوف الفنان، الذي يجب أن تتفجر في عقله ينابيع وطاقات الفن والعلم والإبداع، كما كان جده التراثي القديم، يقول حمزة شحاتة:

فيلسوفُ السهلِ والوعرِ

وداعي حكمةِ الأجيالْ

عقلاً وسليقة

ذو الخيالِ الخصبِ

مستظهرُ أسرارَ الحقيقة

ذلكَ الفنانْ

مستوحِي ظلامَ الليلْ..

والبيداءِ.. والخيلْ

أغانيه القوية

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١١١ .

إنه مستنطِق "النؤي"

وأطلالَ الديارِ الخُرسِ

والأظعانِ.. ما أعجز

من سحرِ أهازيجَ ندية[1]

للنص الشعري دورٌ اجتماعيٌ في التصدي لهمّ مشترك تشكو منه المجتمعات العربية وتئن من وطأته وشدته، إنَّهُ الإرهاب الفكري والدموي، يقول حمزة شحاتة:

يا مرسلَ القولِ زُلفى هُنَّ واردها ... ما أنتَ من أفقِي السامِي وتدويمي

إن لُذت بالصمتِ مغلوبًا على ترة ... يلوبُ في حرِّها صَحْوِي وتهويمي

فلم تَنَلْ رَهبة الأحداثِ من قلمي ... ولا تطامنَ للإرهابِ قيدومي[2]

وحمزة شحاتة يلتقي باللفظ دون المعنى مع النص الشعري للشاعر حافظ إبراهيم غَيْر أَنَّهما يختلفان في الغرض الشعري، فبينما يؤدي النص الشعري لحمزة شحاتة وظيفة اجتماعية في محاربة الإرهاب الفكري، يعمل حافظ إبراهيم على توظيف نصه الشعري في غرض الرثاء، يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

يا مُرسِلَ الأَمثالِ يَضرِبُها ... قَد عَزَّ بَعدَكَ مُرسِلُ المَثَلِ

يا رائِشَ الآراءِ صائِبَةً ... يَرمي بِهِنَّ مَقاتِلَ الخَطَلِ

لِلَّهِ آراءٌ شَأَوتَ بِها ... في الخالِدينَ نَوابِغَ الأُوَلِ[3]

وحمزة شحاتة يؤدي بشعره وظيفة اجتماعية أخلاقية من الحث على القيم والمثل العليا ونشر الفضائل بين الناس، وشحاتة بهذا المعنى يهيم بالفضائل والمثل العليا لا لذاتها، وإنما لينشر ثقافتها في المجتمعات العربية والإسلامية، والشكوى من اضطهاد المصلحين، مخالفًا بذلك هيام الشاعر العربي الحديث عبد الرحمن شكري بالمثل العليا لذاتها، يقول حمزة شحاتة:

أرى الفضائلَ عبرَ الأُفقِ طائرةً ... وما أراهَا استقرتْ في الأقاليمِ

---

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١١٧ .

(٢)المرجع السابق، ص ١٣٩، ١٤٠ .

(٣)ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، الجزء الثاني، ص ١٥٧، ١٥٨ .

قوّمتُ نفسي بأخلاقٍ سموتُ بها فلم يصح بغيرِ المالِ تقويمي
وهمت بالمُثل العُليا وثيق هوى فرُحتُ منها بداءَ غير محسوم
رامَ الأمانَة ذو مال ففاز بها وعاشَ ذو العقلِ فينا غيرَ مأموم[1]

بينما يقول الشاعر عبدالرحمن شكري:

لم يعشَق الغِيدَ لكِنَّهُ هَامَ بِبِكرٍ من بَنَات الخيَالْ
صورةُ حُسن صاغها لُبُّه وحَدُّها في الحُسنِ حَدُّ الكَمَال[2]

كما يتبنى النص الشعري لحمزة شحاتة قضايا اجتماعية ملحة من أهمية تربية النشء والشباب وتعليمهم، فهم بناة الوطن ومستقبله، يقول حمزة شحاتة:

هُم جُندك الفادِي، وأنتَ العلم فافرغْ بهم للمجدِ أعصْى القممْ
وهم غراسُ العلمِ: باني الذرى، والأملُ الوثابُ: حادي الهممْ
يومهمو المأمولُ، يا رمزه يهتك بالنورِ سجوفَ الظُّلم[3]

والنص الشعري وإنْ كان في سياق مدح الملك فيصل رحمه الله إلا أنه يتجاوز الدلالة التراثية لغرض المديح ويتجاوزها إلى دلالة ذات وظيفة اجتماعية من أهمية العناية بالشباب وتعليمهم وتوفير القيادات الرشيدة التي تحدو بهم نحو الذرى والقمم .

(١)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٤١ .

(٢)ديوان عبد الرحمن شكري، تحقيق نيقولا يوسف، راجعه فاروق شوشة، ص ١٦١.

(٣)الأعمال الكاملة، حمزة شحاتة، ص ١٩٣ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
أهداف الدراسة – أهمية موضوع الدراسة .	٢
منهج الدراسة– الدراسات السابقة.	٤
خطة البحث.	٦
التمهيد	
حمزة شحاتة قامة أدبية سامقة.	٧
التناص لغةً.	١٠
التناص في النقد العربي القديم.	١١
التناص عند النقاد الغربيين.	١٣
التناص في النقد العربي المعاصر.	١٦
الفصل الأول: مظاهر ومستويات التناص وتشكلاته في شعر حمزة شحاتة	
المبحث الأول: التناص الاجتراري.	٢١
المبحث الثاني: التناص الامتصاصي.	٣٤
المبحث الثالث: التناص التجاوزي.	٥٣
الفصل الثاني: تقنيات التناص وآلياته في شعر حمزة شحاتة	
المبحث الأول: توافر البنية الحداثية في البنية الشعرية.	٦٤
المبحث الثاني: استيحاء الشخصية التراثية.	٧٨
المبحث الثالث:إعادة البيئة الزماكانية.	٨٤
المبحث الرابع:تحويل الدلالة التراثية إلى الدلالة متجددة.	٩٣
الفصل الثالث: وظائف التناص في شعر حمزة شحاتة	
المبحث الأول: الوظيفة الإيديولوجية.	١٠٩
المبحث الثاني : الوظيفة الفنية.	١٢٠
المبحث الثالث : الوظيفة الاجتماعية.	١٣٣
الخاتمة ونتائج الدراسة.	١٤١
التوصيات.	١٤٢
المراجع والمصادر.	١٤٣